

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتابة المصحف

(جوانب مهمة من تاريخه في صدر الإسلام)

محمد فلاح إساعيل

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جاء بالبيان وأمر به أن يكتب، وعلى آله وصحابه الكرام وأهل بيته الأطهار، وبعد:

فإن من عظيم كرم الله علينا أن خصنا بكتاب مبين، محفوظ من الزيادة والنقصان ومن التغيير والتبديل، وصدق الحق بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١). كيف لا والقرآن أعظم رسالة سماوية وأعلاها مكاناً وأجلها معجزة وأفصحها بياناً وأظهرها برهاناً، فضله الله على سائر الكتب بأن أنزله على أحرف متعددة وقراءات متنوعة تيسيراً على الأمة ورحمة بها. ولقد تلقى الصحابة القرآن بجميع قراءاته عن النبي صلى الله عليه وسلم، وانتشروا في بلاد الإسلام ينشرون ما حفظوه في قلوبهم ووعوه في صدورهم. وتلقاه عنهم الجم الغفير من التابعين ثم الأعلام ممن بعدهم والذين عُنوا بضبط المصاحف في أقطارهم على وفق ما ورد عليه رسم المصحف العثماني.

إن كتابة المصحف لها تاريخ مثبت، ليست من صنع المتقدمين أو من بعدهم من المتأخرين، أو حتى وليدة حادثة، بل هي من عند رسول الله منذ بدء نزول الوحي عليه وعلى مراحل عدة. ونظراً إلى أهمية هذا الموضوع حاولت مستعينا بالله أن أجمع ما يتعلق بهذا الموضوع في مكان واحد يسهل مأخذه ويقرب على مبتغيه.

خطة البحث

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة حوت الحديث عن عظمة القرآن وتلقيه، وبلي ذلك سبعة مطالب:

المطلب الأول: تلقي النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن.

المطلب الثاني: جمع القرآن.

المطلب الثالث: مرحلة ما بعد الجمع.

المطلب الرابع: مرحلة ما بعد الخليفة عثمان بن عفان.

المطلب الخامس: رسم المصحف وضبطه.

المطلب السادس: أركان القراءة الصحيحة.

المطلب السابع: وقفات مهمة.

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها بتوفيق الله ومنه وكرمه.

المطلب الأول: القرآن في العهد النبوي:

كان القرآن الكريم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيحفظه، قال عز وجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ

وْقُرْآنَهُ﴾ ﴿٧١﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَأَنْتَ قُرْآنُهُ ﴿٢﴾ هذه الآيات الكريمة تطمين للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من

أنه لن يفوته حفظ شيء مما يوحي إليه من آيات ربه، فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى جمع هذا القرآن

كله في صدره صلوات الله وسلامه عليه، كما سيتولى سبحانه حفظه مع الزمن قرآناً تعمر به قلوب المؤمنين

وترتله ألسنة الحافظين.

وفي إسناد القراءة إلى الله سبحانه وتعالى تشریف وتكریم للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

الذي يسمع آيات الله متلوة عليه من ربه، وإن كان جبريل عليه السلام هو الذي ينقلها، وهذا يعني أن

النبي صلى الله عليه وسلم إذ يتلقى آيات الله من سيدنا جبريل عليه السلام يجد فيها نداء الحق سبحانه

وتعالى له ويسمع خطابه سبحانه وتعالى إليه ويبلغه للناس ويأمر كتّاب الوحي الذين اختارهم من خيرة

صحابته بكتابه مبالغة في تسجيله وتقييده وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى حتى

تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد الخط اللفظ. وكان صلى الله عليه وسلم يدهم أيضاً على موضعه المكتوب

من الآيات.

فعن عثمان رضي الله عنه^(٣) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"^(٤). وعن زيد بن ثابت^(٥) قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"^(٦)^(٧) وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات والسور حسب إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الترتيب بتوقيف من سيدنا جبريل عليه السلام. وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف، حيث هو كذلك مثبت في اللوح المحفوظ، ولا ريب أن جبريل عليه السلام ما كان في ذلك إلا

- ٣- عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الله، ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل، وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنتيه رقية ثم أم كلثوم وقتل يوم الجمعة سنة ٣٥هـ، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ط ١، ج ٣، ص ١٥٥، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب، ج ٣، ص ٥٨٤، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٧٠م، ج ٤، ص ٤٥٦.
- ٤- أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب وجه اقتران سورة الأنفال ببراءة، ج ٢، ص ٢٢١، ووافقه الذهبي على التصحيح، والترمذي في كتاب التفسير، باب سورة التوبة، ج ٥، ص ٢٧٢، برقم: ٣٠٨٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
- ٥- زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو الأنصاري، المقرئ كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وأمينه على الوحي رضي الله عنه وكان شاباً ذكياً ثقفًا، جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قرأ عليه أبو هريرة وابن عباس، توفي سنة ٤٥هـ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ط ٢، ج ١، ص ٣٦، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: علي محمد الصباغ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج ١، ص ٢٩٦، الحافظ محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٣٥٨.
- ٦- الرقاع: الرقعة: ما رقع به: وجمعها رقع ورقاع، والرقعة: واحدة الرقاع التي تكتب والرقعة الخرقه، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ج ٦-٦، ص ٢٠٣.
- ٧- الأثر: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب لقد جاءكم رسول من أنفسكم، ج ٤، ص ١٧٢٠، رقم ٤٤٠٢، وأحمد بن حنبل في المسند، المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج ٥، ص ١٨٥.

عن أمر الله عز وجل فيكتبونه فيما يسهل عليهم من: العسب^(٨) واللخاف^(٩) والرقاع، وقطع الأديم، والأقتاب^(١٠) وعظام الأكتاف، والأضلاع.

هكذا انقضى العهد النبوي الشريف والقرآن مكتوب كله، بيد أنه لم يكن مجموعاً في مكان واحد ولا مرتب السور، ولكنه كان محفوظاً في صدور الصحابة، فمنهم من كان يحفظه كله لملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم: كالخلفاء الأربعة، وأبي ابن كعب^(١١) وزيد بن ثابت، وخالد بن الوليد^(١٢) ومعاوية بن أبي سفيان^(١٣) وغيرهم. ومن النساء: السيدة عائشة^(١٤) والسيدة حفصة^(١٥) والسيدة أم سلمة^(١٦) رضي الله عنهن جميعاً.

- ٨- العسب: أي جريد من النخل، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج ٣، ص ٢٣٤.
- ٩- اللخاف: وهي جمع خفة وهي حجارة بيض رفاق، النهاية، ج ٤، ص ٢٤٤.
- ١٠- الأقتاب: الأمعاء، واحدها: قتب بالكسر وقيل: هي جمع قتب. وكتب جمع قتبة وهي المعى، النهاية، ج ٤، ص ١١.
- ١١- أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية، بايع النبي صلى الله عليه وسلم ثم شهد بدرًا وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله وكان ممن كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي قبل زيد بن ثابت ومات سنة ٣٢هـ، الاستيعاب، ج ١، ص ١٦١، الإصابة، ج ١، ص ٢٧.
- ١٢- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، سيف الله تعالى وفارس الإسلام وليث المشاهد، قائد المجاهدين أبو سليمان القرشي المكي توفي سنة ٢١هـ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ط ٣، ج ١، ص ٣٦٦، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٠٩، الاستيعاب، ج ٢، ص ١٤.
- ١٣- معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، كان معاوية هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد، توفي سنة ٦٠هـ، الاستيعاب، ج ٣، ص ٤٧٠، أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٠٩، الإصابة، ج ٦، ص ١٥١.
- ١٤- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابتنت بها بالمدينة وهي ابنة تسع، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أري عائشة في المنام في سرقة من جرير، وتوفيت سنة ٥٧هـ، الاستيعاب، ج ٤، ص ٤٣٥، أسد الغابة، ج ٧، ص ١٨٨، الإصابة، ج ٨، ص ١٦.
- ١٥- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم طلقها تطليقة ثم ارتجعها، وذلك أن جرير عليه السلام قال: راجع حفصة فإنها قوامة صوامة وإنها زوجتك في الجنة، الاستيعاب، ج ٤، ص ٣٧٢، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، طبعة شرف الدين الكتبي وأولاده، بومباي، الهند، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج ١، ص ٤، الإصابة، ج ٧، ص ٥٨١.
- ١٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كانت قبله عليه السلام عند أبي سلمة بن عبد الأسد، وشهدت غزوة خيبر، توفيت سنة ٦٢هـ، الاستيعاب، ج ٤، ص ٤٩٣، أسد الغابة، ج ٧، ص ٣٤٠، الإصابة، ج ٨، ص ٢٢١.

المطلب الثاني: جمع القرآن:

يروى الطبري^(١٧) في جامع البيان أن الزهري^(١٨) قال "قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع، وإنما كان في الكرانيف^(١٩) والعسب"^(٢٠) وينقل السيوطي^(٢١) في الإتيان عن أبي سليمان^(٢٢) حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي قوله: "إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقيه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمأن حفظه على هذه الأمة".

- ١٧- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر، الإمام العلم المجتهد عالم العصر صاحب التصانيف البديعة أكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاء وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله، توفي سنة ٣١٠هـ، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٢٦٧، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ١٦٢، غاية النهاية، ج ٢، ص ١٠٦.
- ١٨- الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث، الإمام المعلم حافظ زمانه، أبوبكر القرشي، قال عنه ابن حجر: الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه توفي سنة ١٢٥هـ، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٥٠٦ رقم: ٦٢٩٦، طبقات القراء، ج ٢، ص ٢٦٢، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج ٤، ص ١٧٧.
- ١٩- الكرانيف: هي أصل السعفة الغليظة، ويعني أنه كان مكتوبًا عليها قبل جمعه في الصحف، النهاية في غريب الحديث، ج ٤، ص ١٦٨.
- ٢٠- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ط ١، ج ١، ص ٢٨ في خطبة الكتاب.
- ٢١- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الإمام العالم العلامة الخبير البحر، أعجوبة الدهر شيخ الإسلام جلال الدين، أبو الفضل صاحب، المؤلفات الحافظة الجامعة المتقنة التي تزيد على خمسمائة مصنف، توفي بمصر سنة ٩١١هـ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، ج ٤، ص ٦٥، القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٨هـ، ط ١، ج ١، ص ٣٢٨، الشيخ نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، محمد أمين دميح وشركاه، بيروت، ١٠٣٣هـ/١١٦١م، ج ١، ص ٢٢٦.
- ٢٢- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي: الإمام العلامة الحافظ اللغوي، صاحب التصانيف، من كتبه: شرح الأسماء الحسنى، وغريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي ودار الفاروق الحديثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط ٢، ج ٢، ص ٤٣٥، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج ٣، ص ٢٨٢، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٣.

فكان ابتداء ذلك على يد سيدنا أبي بكر الصديق (٢٣) بمشورة سيدنا عمر (٢٤) رضي الله عنها (٢٥)، روى الإمام البخاري (٢٦) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعت هشام بن حكيم (٢٧) يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره (٢٨) في الصلاة فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرسله، اقرأ يا هشام!" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذلك أنزلت" ثم قال: "اقرأ يا عمر!"، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه" (٢٩).

- ٢٣- الصديق هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة، شهد بدرًا بعد مهاجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وكان مؤنس النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته من بعده بما أظهر من الدلائل البينة على محبته في ذلك، توفي سنة ١٣هـ، الاستيعاب، ج ٣، ص ٩١، أسد الغابة، ج ٦، ص ٣٧، الإصابة، ج ٤، ص ١٦٩.
- ٢٤- عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح أبو حفص العدوي، أمير المؤمنين، كان من أشرف قريش وأسلم بعد رجال سبقوه، وكان إسلامه عز ظهر به الإسلام بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجر وشهد بدرًا وقتل سنة ٢٣هـ، الاستيعاب، ج ٣، ص ٢٣٥، أسد الغابة، ج ٤، ص ١٤٥، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣٩٧.
- ٢٥- الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٣٧٧.
- ٢٦- البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله، جيل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، توفي سنة ٢٥٦هـ له من المصنفات الجامع الصحيح، انظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٩١. تقريب التهذيب، ص ٤٦٨ رقم ٥٧٢٧، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٤.
- ٢٧- هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي، أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٩٩، أسد الغابة، ج ٥، ص ٦١، الإصابة، ج ٦، ص ٥٣٨.
- ٢٨- أساوره: أي أوائبه وأقاتله، النهاية في غريب الحديث، ج ٢، ص ٤٢٠.
- ٢٩- الحديث أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ج ٤، ص ١٩٠٩، رقم ٤٧٠٦ وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ج ١، ص ٥٦٠، رقم ٨١٨.

إذا لما استقر الأمر بختام التنزيل، ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمن النسخ وتقرر الترتيب ووجد من الدواعي ما يقتضي نسخه في صحف أو مصاحف وفق الله الخلفاء الراشدين فقاموا بهذا الواجب حفظاً للقرآن، وحياطه لأصل التشريع الأول، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٣٠) وعن عبيد بن السباق (٣١): أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أرسل إلى أبي بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر رضي الله عنه عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن. وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبع القرآن أجمعه من: العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري (٣٢) لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما" (٣٣).

٣٠- سورة الحجر، الآية: ٥.

٣١- عبيد بن السباق الثقفي المدني، روى عن ميمونة بنت الحارث، وروى عنه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ذكره ابن حبان في الثقات وذكره العجلي في الثقات وقال: مدني تابعي ثقة، وقال ابن حجر: ثقة، محمد بن حبان البيهقي، ثقات ابن حبان، تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ج ٥، ص ١٣٣، الحافظ أحمد عبد الله بن صالح بن الحسن العجلي، تاريخ الثقات، بترتيب الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ط ١، ص ٣٢١، برقم: ١٠٧٧، التقريب، ص ٣٧٧، برقم: ٤٣٧٣.

٣٢- أبو خزيمة الأنصاري بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد وتوفي في خلافة عثمان بن عفان، الاستيعاب، ج ٤، ص ٢٠٥، أسد الغابة، ج ٦، ص ٨٩، الإصابة، ج ٧، ص ١٠٦.

٣٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج ٤، ص ١٩٠٧، برقم: ٤٧٠١.

قلت: هذا الحديث يدل على مبلغ اهتمام كبار الصحابة بالمحافظة على القرآن وعلى جمعه بأسرع ما يمكن، وعلى مبلغ ثقة أبي بكر وعمر بسيدنا زيد رضي الله عنهم، وإنما أثر أبو بكر رضي الله عنه زيدا بهذه الفضيلة مع أن في الصحابة من هو أكبر منه سنا وأقدم إسلاماً واحتر فضايل؛ لأنه كان من أشهر الصحابة إتقاناً لحفظ القرآن الكريم كله وعياً لحروفه وأداء لقراءته وكان مداوماً لكتابة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم التي بينت ما نسخ وما بقي من القرآن.

روى البخاري عن أبي هريرة^(٣٤) قال: "كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه وكان يعتكف كل عام عشرًا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه"^(٣٥).

ولم يعتمد زيد رضي الله عنه على الحفظ وحده ولذلك قال في الحديث السابق: إنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة مع أن زيدا كان يحفظها وكان كثير من الصحابة يحفظونها ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثق ومبالغة في الاحتياط والدقة والحذر. فإن قيل: إن زيدا كان جامعا للقرآن، فما معنى هذا التتبع والطلب لشيء كان يحفظه ويعمله؟ فالجواب - والله أعلم - أنه كان يجمع وجوهه وقراءاته وكذلك نظره في الرقاع والعسب واللخاف التي عرف كتابتها وتيقن أمرها. وجائز أن تكون تلك هي التي كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الظاهر. وإذا كانت مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد من النظر فيها. وإن كان حافظا ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أو لا؟ وكذلك إذا كانت الصحف مما يعلم أمرها ويوثق بكتابتها وإن لم تكن كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما يدل على أنهم كانوا يكتبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما روى البخاري عن

٣٤- أبو هريرة: أشهر أسائه وأفواها عبد الرحمن بن صخر الدوسي الحافظ رضي الله عنه، قرأ القرآن على أبي بن كعب، وكان إماماً مفتياً فقيهاً صالحاً حسن الأخلاق متواضعاً محبباً إلى الأمة وكان كثيراً للعبادة والذكر توفي سنة ٥٨هـ، أسد الغابة، ج ٦، ص ٣١٨، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٤٣، غاية النهاية، ج ١، ص ٣٧١.

٣٥- الحديث أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٤، ص ١٩١١، رقم ٤٧١٢، وأبو داود، كتاب الصوم، باب أين يكون الاعتكاف، ج ٢، ص ١٠٦٥، رقم ٢٤٦٦، وابن ماجه، كتاب الصوم، باب ما جاء في الاعتكاف، ج ١، ص ٥٦٢، رقم ١٧٦٩، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، وأحمد بن حنبل في المسند، ج ٢، ص ٣٣٦.

البراء (٣٦) رضي الله عنه: " لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٧) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم (٣٨) فشكا ضرارته، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ وقال البراء: لما نزلت: لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال محمد: ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال: اكتب: لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ضرير. فنزلت مكانها ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٣٩) وعلى هذا الدستور الرشيد تم جمع القرآن على أدق وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول التثبيت العلمي بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة وإجماع الأمة عليه وعلى تواتر ما فيه.

المطلب الثالث: القرآن في عهد ذي النورين عثمان بن عفان:

ومرت بعد ذلك خلافة الصديق رضي الله عنه التي تم فيها هذا الإنجاز العظيم وخلافة الفاروق رضي الله عنه، الذي كانت أيامه فتحا على المسلمين في كل جانب. وقد أتاحت حركة الفتح الإسلامي هذه لقاء المسلمين مع بعضهم، فأخذوا يتدارسون القرآن ويتذاكرونه فيما بينهم وكان كل واحد منهم يقرأ مثلما سمعه وتعلمه من الصحابي الذي تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن قراءات الصحابة التي تلقوها عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تضم كثيرا من وجوه الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن تيسيراً على الأمة الإسلامية كما كانت الأحرف السبعة مكتوبة

٣٦- البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن الحزرج الأنصاري الحارثي، أول غزوة شهدها الخندق، وافتتح البراء بن عازب الري سنة أربع وعشرين صلحاً وشهد مع علي كرم الله وجهه الجمل وصفين والنهروان ثم نزل الكوفة ومات بها أيام مصعب بن الزبير، الاستيعاب، ج ١، ص ٢٣٩، أسد الغابة، ج ١، ص ٢٠٥، الإصابة، ج ١، ص ٢٧٨.

٣٧- سورة النساء، الآية: ٩٥.

٣٨- ابن أم مكتوم عبد الله بن قيس بن زائدة، وكان ضريراً مؤذناً لرسول الله مع بلال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحترمه ويستخلفه على المدينة فيصلي ببقايا الناس، توفي سنة ١٥ هـ، الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٩، أسد الغابة، ج ٤، ص ٦٣، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٦٠.

٣٩- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين... الآية، ج ٤، ص ١٦٧٧، برقم ٤٣١٧ ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، ج ٣، ص ١٥٠٨، برقم ١٨٩٨.

في الرقاع كذلك، وأخذوا يراجعون بعضهم في بعض الوجوه ويدعي بعضهم أن قراءته أصح من قراءة غيره. وكانت مظاهر تلك الحالة أشد وضوحاً في خلافة عثمان رضي الله عنه، وتعطي الروايات صوراً مختلفة لذلك الخلاف في القراءة، وعلى مستويات متعددة. ويبدو أن حالات تنازع المسلمين في قراءة كلمات من القرآن قد تكاثرت أخبارها على مسامع الخليفة عثمان وكبار الصحابة رضي الله عنهم مما جعلهم يفكرون في الوسائل التي يمكن تفادي النتائج الخطيرة التي يمكن أن تترتب على مثل ذلك الخلاف.

والرواية المشهورة التي تحكي خطوات ذلك العمل الكبير هي التي يرويها البخاري في صحيحه عن أنس^(٤٠) بن مالك: "أن حذيفة^(٤١) بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير^(٤٢) وسعيد^(٤٣) بن العاص وعبد الرحمن^(٤٤) بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

٤٠- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي البصري، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا حمزة، كان آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٩١هـ، الاستيعاب، ج ١، ص ١٩٨، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣١، الإصابة، ج ١، ص ١٢٦.

٤١- حذيفة بن اليمان أبو عبد الله، شهد أحدًا، وكان من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينظر إلى قريش فجاءه بخبر رحيلهم وكان هو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي سنة ٣٦هـ، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٩٣، أسد الغابة، ج ١، ص ٤٦٨، الإصابة، ج ٢، ص ٤٥.

٤٢- عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، وهو أول مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة، وشهد الجمل مع أبيه وخالته، وكان شهياً ذكراً شرساً ذا أنفه، وكانت له لسانه وفصاحته، وكان لا حية له ولا شعر في وجهه، قتل سنة ٧٣هـ، الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٩، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣١١، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينز فيسبادن، ألمانيا، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ج ١٧، ص ١٧٢.

٤٣- سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، ولد عام الهجرة وكان أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، وتوفي سنة ٥٩هـ، الاستيعاب، ج ٢، ص ١٨٣، أسد الغابة، ج ٢، ص ٣٩١، الإصابة، ج ٣، ص ١٠٦.

٤٤- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، كان ابن عشر سنين حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة، الاستيعاب، ج ٢، ص ٣٧٠، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣٤٥، الإصابة، ج ٤، ص ٢٩٥.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن كل صحيفة أو مصحف.... أن يحرق. قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت (٤٥): سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف" (٤٦).

والفرق بين جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبين جمع عثمان رضي الله عنه أن جمع أبي بكر كان خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لا لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآياته وسوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأما جمع عثمان رضي الله عنه فكان سببه كثرة الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على كثرة هذه اللغات، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضاً، فخشي من تفاقم الأمر فنسخت تلك الصحف في مصحف واحد ثم تعددت المصاحف بقصد جمع الصحابة على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك. وبعد أن أتم عثمان رضي الله عنه نسخ المصاحف بالصورة التي وردت في الحديث عمل على إرسالها وإنفاذها إلى الأقطار وأمر أن يحرق كل ما عداها مما يخالفها سواء كانت صحفاً أو مصاحف. وذلك ليقطع عرق النزاع، وليضع بذلك حداً لأيّ اختلاف يقع، سواء في الرسم أو في القراءة، وليحمل المسلمين على أن لا يأخذوا إلا بتلك المصاحف التي توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها. وكان من أهم هذه المزايا:

١- الاقتصار على ما ثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحاداً.

٢- إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة.

٤٥- خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو زيد الأنصاري، كان الفقه بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: ثقة. وقال محمد بن سعد: كان ثقة كثيراً الحديث وقال ابن حجر: ثقة، توفي سنة ١٠٠هـ، طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٢٦٢، الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج ٨، ص ٨، ثقات العجلي، ص ١٤٠، رقم ٣٦١.

٤٦- الحديث أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج ٤، ص ١٩٠٨، رقم ٤٧٠٢ والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج ٥، ص ٢٨٤، رقم ٣١٠٤ وقال: هذا حسن صحيح والنسائي في الكبرى، فضائل القرآن، باب بلسان من نزل القرآن، ج ٥، ص ٦، رقم ٧٩٨٨.

٣- كتابتها بحيث تجمع وجوه القراءات المختلفة، والأحرف التي نزل عليها القرآن، وتوزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يَحْتَمِلها الرسم الواحد، وذلك عن طريق إطلاق الرسم وعدم تقييده بالنقط والشكل كي يحتمل ما صح نقله وثبتت روايته. فالكلمة التي تشتمل على أكثر من قراءة وتخلو من النقط والشكل كانت تكتب برسم واحد في جميع المصاحف.

وذلك نحو ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (٤٧) و﴿نُنشِرُهَا﴾ (٤٨) و﴿سُنِّيَكُمْ﴾ (٤٩) وأما الكلمات التي تضمنت قراءتين أو أكثر وكان تجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات فكانت ترسم في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى، مثل ﴿وَوَكَّلَ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٥٠)، رسم في بعض المصاحف بووا قبل الفعل ﴿وَوَكَّلَ﴾ وفي بعضها بفاء قبل الفعل ﴿فَوَكَّلَ﴾ ونحو ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ (٥١). وهكذا.

والذي دعا الصحابة إلى اتباع هذا المنهج في كتابة المصاحف، أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع وجوه قراءاته وحروفه التي نزل بها، فكانت هذه الطريقة في الكتابة أدعى إلى الإحاطة بالوجوه التي نزل عليها القرآن الكريم، فلا يقال: إنهم أسقطوا شيئاً من القراءات، لأن الجميع نقلت نقلاً متواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والسبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف كما قال أبو عمرو (٥٢)

-
- ٤٧- سورة النساء، الآية: ٩٤.
- ٤٨- سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
- ٤٩- سورة النحل، الآية: ٦٦.
- ٥٠- سورة الشعراء، الآية: ٢١٧.
- ٥١- سورة الحديد، الآية: ٢٤.
- ٥٢- أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي، الإمام المعروف في زمانه، سمع كتاب ابن مجاهد في اختلاف السبعة، وكان أحد الأئمة في علم القرآن رواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه وجمع ذلك كله في مصنفات له منها جامع البيان في القراءات السبع وطرقها وكتاب المنع في رسم المصحف، توفي سنة ٤٤٤هـ، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ومطبعة الاستقلال الكبرى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ط ١، ج ١، ص ٣٧٣، وزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ٢، ص ٣٤١، إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج ٢، ص ٨٤.

الداني في المنع: " إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وأثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للأمة واحتياطاً على أهل الملة وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن: لا بإعادة الكلمة مرتين وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتفسير للمرسوم ما لا خفاء به ففرقها في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحدوفة في بعضها، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل، وعلى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا سبب اختلاف رسمها في مصاحف أهل الأمصار" (٥٣). وتلقى الناس المصاحف في كل قطر من الأقطار التي وجهت إليها، وبما أن الاعتماد في نقل القرآن على التلقي والأخذ بالمشافهة والرواية، لذلك أرسل عثمان رضي الله عنه مع كل مصحف إماماً عدلاً ضابطاً تكون قراءته موافقة لما في هذا المصحف غالباً، فمصحف إلى مكة مع عبد الله بن السائب (٥٤) رضي الله عنه، ومصحف إلى الشام مع المغيرة بن شعبة رضي الله عنه (٥٥)، ومصحف إلى الكوفة مع أبي عبد الرحمن السلمى رضي الله عنه (٥٦)، ومصحف إلى البصرة مع عامر بن عبد القيس (٥٧) رضي الله عنه، وأمر عثمان رضي الله عنه زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يبقى في المدينة يقرأ الناس بما وافق المصحف الذي بقي في المدينة.

-
- ٥٣- الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ١١٨.
- ٥٤- عبد الله بن السائب بن صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، يعرف بالفارئ، أخذ عنه أهل مكة القراءة وعليه قرأ مجاهد توفي سنة ٦٧هـ. الاستيعاب، ج ٣، ص ٤٧، تجريد أسماء الصحابة، ج ١، ص ٣١٣، أسد الغابة، ج ٣، ص ٢٥٤.
- ٥٥- المغيرة بن شعبة بن قيس مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد الثقفي، أسلم عام الخندق، أول مشاهده الحديبية وكان أميراً على الكوفة، توفي ٥٠هـ. الاستيعاب، ج ٤، ص ٧، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢١، الإصابة، ج ٦، ص ١٩٧.
- ٥٦- أبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب الكوفي المقرئ، مشهور بكنيته مقرئ الكوفة، الإمام العلم من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، قرأ القرآن وجوده ومهر فيه، وأخذ عنه القرآن عاصم بن أبي النجود، توفي سنة ٧٤هـ، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٦٤، طبقات ابن سعد، ج ٦، ص ١٧٢، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤٣٠.
- ٥٧- عامر بن عبد القيس أبو عبد الله، القدوة الولي الزاهد البصري التميمي، قال العجلي: كان ثقة من عباد التابعين وكان يقرأ الناس، توفي زمن معاوية. ثقات العجلي، ص ٢٤٥، رقم ٧٥٥، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٥، طبقات ابن سعد، ج ٧، ص ١٠٣.

المطلب الرابع: القرآن ما بعد عهد الخليفة عثمان بن عفان:

لقد تربي على يد الصحابة جيل من التابعين أخذوا عنهم طريقتهم في القراءة فقاموا في ذلك مقام الصحابة الذين تلقوه من فم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان كل تابعي يحفظ القرآن على الصورة التي تلقاها عن شيخه الصحابي. وكان هؤلاء التابعون منتشرين في عواصم العالم الإسلامي الجديد بين المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام. ثم تفرغ قوم للقراءة والأخذ والحفظ واعتنوا بالضبط أتم عناية حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ويرتحل إليهم ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم واعتماد روايتهم، ومن هنا نسبت القراءة إليهم. كما اشتهر أعلام بالإقراء في الأمصار كذلك، وجه هؤلاء الأئمة عنايتهم إلى ضبط رسم المصاحف وإقامتها على نحو ما جاء في المصحف الإمام الذي وجه إليهم، وهكذا قامت المصاحف المنسوخة من الأمهات مقام الأصول، لأنها نسخة منقولة عنها. فروى الأئمة عن المصاحف العثمانية سواء كانت أصلية أو فرعية طريقة رسم الكلمات، وجاء بعد ذلك عصر انتشار تدوين العلوم، فسارع العلماء إلى تسجيل تلك الروايات في كتب كانت أساساً لحفظ صور الكلمات في المصاحف ومرجعاً لمن أراد أن ينسخ مصحفاً. وقد ظلت المصاحف إلى جانب روايات الأئمة مصدراً للرسم العثماني، فكان المؤلفون يروون الروايات المتقدمة، ثم إنهم كثيراً ما يعقبون على ذلك بقولهم: إنهم رأوا كذلك في مصاحف بلدهم. أو ربما صححوا بعض الروايات على ضوء ما يجدونه في المصاحف التي عندهم حرصاً بالغاً منهم على ألا يخرجوا على شيء مما في رسم المصاحف التي أصبحت موافقة القراءة لهجائها مقياساً لقبولها وصحة روايتها ونقلها، فما صح نقله من القراءات ينظر إليه من خلال مقدار دلالة الخط عليه فما وافق الخط قرئ به وصح نقله، وما كان غير ذلك اعتبر من الشاذ الذي لا يجوز القراءة به. وقد انعقد الإجماع بعد نسخ المصاحف العثمانية وبثها في الأمصار على ترك ما يخالف المصحف سواء كان بإبدال كلمة أو زيادة كلمة أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك.

قال ابن قتيبة^(٥٨): "كل ما كان منها موافقاً لمصحفنا غير خارج عن رسم كتابه جاز لنا أن نقرأ به، وليس لنا ذلك فيما خالفه"^(٥٩). وقد استعمل مقياس الخط في رد ما خالفه من قراءات سواء عند علماء

٥٨- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، العلامة الكبير ذو الفنون صاحب التصانيف، قال الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً، من كتبه مشكل القرآن، توفي سنة ٢٧٦هـ، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ١٧٠، أنباه الرواة، ج ٢، ص ١٤٣، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٢.

٥٩- عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ط ٣، ص ٤٢، باب الرد عليهم في وجوه القراءات.

القراءة أم غيرهم. قال الفراء (٦٠): "اتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافه" (٦١). وقال عبد الله بن أبي داود (٦٢): "لا نرى أن نقرأ القرآن إلا لمصحف عثمان الذي اجتمع عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإن قرأ إنسان بخلافه في الصلاة أمرته بالإعادة" (٦٣). وقد استعمل ابن مجاهد (٦٤) هذا المقياس كثيراً في كتاب القراءات السبعة، ليس هذا فحسب بل إن هذا المقياس استعمل في الحكم على قراءة بكاملها.

فقد ذكر ابن الجزري (٦٥) عن قراءة ابن محيصن (٦٦) مقرئ أهل مكة مع ابن كثير (٦٧) "ولولا ما فيها

-
- ٦٠- الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله أبو زكريا، العلامة صاحب التصانيف النحوي، قال عنه ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربية ولسقطت لأنه خلعها، توفي سنة ٢٠٧هـ. غاية النهاية، ج ٢، ص ٣٧١، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٣٨، الأديب أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأديب أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج ٥، ص ٦١٩.
- ٦١- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م، ط ١، ج ١، ص ٣٧٩، باب علم مرسوم الخط.
- ٦٢- عبد الله بن أبي داود: هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر، الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، صاحب التصانيف، كان من بحور العلم، له كتاب المصاحف وكتابه الناسخ والمنسوخ، توفي سنة ٣١٦هـ، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤٦٤، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٢١، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٠٤.
- ٦٣- عبد الله بن أبي داود، المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٦٦، برقم: ١٦٢، مصحف أبي بن كعب.
- ٦٤- ابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، شيخ العصر، أبو بكر البغدادي، المقرئ مصنف كتاب القراءات السبعة، سمع القراءات من طائفة كبيرة، قال أبو عمرو الداني: فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته من اتساع علمه وبراعة توفى سنة ٣٢٤هـ. معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٧٠، غاية النهاية، ج ١، ص ١٣٩، طبقات السبكي، ج ٣، ص ٥٧.
- ٦٥- ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي، الحافظ مقرئ الماليك الإسلامية بدمشق، ولهج بطلب الحديث والقراءات وبرز فيها، عُين لقضاء الشام مرة وكان كثير الإحسان، له كتب منها النشر في القراءات العشر وغاية النهاية في طبقات القراء، توفي سنة ٨٣٣هـ. الضوء اللامع، ج ٩، ص ٢٥٥، البدر الطالع، ج ٢، ص ٢٥٧، المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر للطباعة، بيروت، ج ٧، ص ٢٠٤.
- ٦٦- ابن محيصن: هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، قارئ أهل مكة مع ابن كثير، هو في الحديث ثقة، قرأ القرآن على سعيد بن جبير وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، توفي سنة ١٢٣هـ. غاية النهاية، ج ٢، ص ١٦٧، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٩٨، شذرات الذهب، ج ١، ص ١٦٢.
- ٦٧- ابن كثير وهو عبد الله بن كثير بن المطلب، الإمام أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني، إمام المكيين في القراءة، تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، وحدث عنه أبو أيوب السخستاني، وثقه ابن معين وغيره، ت ١٢٠هـ. معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٨٦.

من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة^(٦٨) ووقفت أهل الأقاليم من المصاحف التي أرسلت إليهم موقف التقديس والإكبار لأنهم علموا أن كتابة هذه المصاحف لم يكن عملاً فردياً اشتغل به شخص من الصحابة، وإنما هو إجماع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضواً عليها بالنواجذ"^(٦٩). وقال عليه الصلاة والسلام: "إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر"^(٧٠). فلذلك وقفوا منها هذا الموقف، وتلقوها بالرضا والقبول وجعلوها المصدر الوحيد يقتدون بها، ويتحاكمون إليها، فسسخوا على غرارها مصاحف كثيرة كان لها ما لتلك من القدسية والتبجيل وكانت كسابقتها خالية من النقط والشكل.

المطلب الخامس: رسم المصحف وضبطه:

ودخل تحت راية الإسلام كثير من بلاد الأعاجم فاختلف اللسان العربي باللسان الأعجمي، وكان هؤلاء الأعاجم يعسر عليهم التمييز بين حروف القرآن وكلماته لأنها غير منقوطة ولا مشكولة، فخشي أمراء المسلمين وولاتهم أن يتطرق التحريف إلى النص القرآني إذا ظلت المصاحف غير مشكولة ولا منقوطة، فأحدثوا من الوسائل ما يكفل صيانة الكتاب العزيز من اللحن وحفظه من التصحيف فكان على رأس هذه الوسائل ما عرف بعلم الضبط ويعلم النقط، فأما الضبط فعلم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف التي هي: الفتح والضم والكسر والسكون والشدة والمد والروم والإشمام وغير ذلك يرادفه الشكل^(٧١).

٦٨- غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، ص ١٦٧.

٦٩- الحديث: أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج ٤، ص ١٩٧٤، رقم ٤٦٠٧ والترمذي، كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة، ج ٥، ص ٤٥، رقم ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد بن حنبل في المسند، ج ٤، ص ١٢٦، والدارمي، كتاب المقدمة، باب اتباع السنة، ج ١، ص ٥٧، رقم ٩٥.

٧٠- الحديث أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ج ٥، ص ٦١٠، رقم ٣٦٦٣، وقال: حديث حسن، وابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل أبي بكر رضي الله عنه، ج ١، ص ٣٧، رقم ٩٧ وأحمد بن حنبل في المسند، ج ٥، ص ٣٨٥، وابن أبي عاصم في السنة، ج ٢، ص ٥٤٥، رقم ١١٤٨، وقال: حديث صحيح.

٧١- يقول المحقق الضباع فيما يتعلق بالضبط: "الضبط علامات مخصوصة تلحق الحرف للدلالة على حركة مخصوصة أو سكون أو مد أو تنوين أو شد أو نحو ذلك، ويرادفه الشكل، يقال: شكل الكتاب إذا أعجمه أي: قيده بما يزيل عن الإشكال والالتباس... وقد شاهدت كتباً كثيرة كتبت في العصور الوسطى ولم ينقط من كلماتها شيء أو إلا قليلاً اتكألاً على ذكاء القارئ، والظاهر أن ذلك كان فاشياً في الأزمنة ولم يلتزم إلا متأخراً، فالعرب لم يكونوا أصحاب شكل ونقط فكانوا يكتبون الحروف مجرداً منها، وقيل: كانوا يصورون الحركات حروفاً فيصورون =

وأما النقط فيطلق بالاشتراك على ما يطلق عليه الضبط والشكل على الإعجام الدال على ذات الحرف وهو النقط: أزواجاً وأفراداً المميز بين الحروف: المعجمة والمهملة وهو مبني على الوصل بالإجماع إلا ما استثني مما يعلم في مواضعه ولهذا عريت النون من السكون مثل ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لإدغامها وصلها، أما الرسم فمبني على ملاحظة البدء بالكلمة والوقف عليها، ولذلك أثبتت همزة الوصل، وحذفت نون التنوين في مثل "محمد رسول الله" ويقال للمنقوطة: معجمة، ولغير المنقوطة مهملة. والمعجمة ما كتب من حروف المعجم بـ: نقطة أو ثنتين أو ثلاث مثل: ب، ت، ث، وغيرها. والمهملة وهي ما عدا ذلك. مثل د، ص، ل. والحروف المستعملة في القرآن الكريم نوعان: أصلية وفرعية. أما الأصلية فتسعة وعشرون حرفاً على المشهور، وثمانية وعشرون على غير المشهور، وهو المعتبر في النقط نظراً لصورها.

ويجمع ترتيب هذه الحروف على ترتيب المشاركة قولك: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، تحذ، ضظغ، وعلى ترتيب المغاربة قولك: أبجد، هوز، حطي، كلمن، صغفص، قرست، تحذ، ظفش. وهذا الترتيب الأبجدي هو الذي رتبوا بحسابه حساب الجُمَّل المعروف عند الفريقيين، وهو الذي كان عليه التعليم في أول الأمر إلى أن جاء المسلمون فأنشؤوا ترتيباً: أ، ب، ت، ث، ... وهو المعروف الآن (٧٢).

وأما الحروف الفرعية التي تفصحت به العرب، وأصبحت فاشية مستعملة في لغتها ولغة القرآن الكريم ستة أحرف وهي:

- ١- الهمزة المسهلة: تجعل الهمزة مخففة بين الهمزة والألف، وبين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، نحو "أأنتم، أألقي، أأنك" فلا هي همزة محققة خالصة، ولا هي حرف آخر غير الهمزة.
- ٢- الألف المائلة: هي بين الألف والياء لا هي ألف خالصة، ولا ياء خالصة إنما هي قريبة من الياء، لعلل أوجبت ذلك، نحو "الهدى والعلی".
- ٣- الصاد المشمة صوت الزاي: وهي التي تخالط لفظ الزاي، نحو "الصراط، أصدق، قصد".
- ٤- الياء المشمة صوت الواو، المعبر عنه بالإشمام في مثل: قيل، وغيض وهو تحريك الحرف الأول

= الفتحة أُلْفًا ويضمونها بعد المفتوح والضممة وأوًا والكسرة ياء، والنقط الدال على عوارض الحرف وهو المسمى بالضبط والشكل وأول من وضعه على الأرجح: أبو الأسود الدؤلي. علي محمد الضباع، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٧٩-٨٦ بتصرف.

٧٢- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٧٢-٧٦.

بحركة مركبة من حركتين: ضمة، كسرة، وجزء الضمة مقدم وهو الأقل، ويليه جزء الكسرة، وهو الأكثر.

- ٥- الألف المفخمة: وهي ألف يخالط لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو، كما كانت الألف المائلة ألفاً يخالط لفظها ترقيق يقربها من الياء، فهي نقيضة الألف المائلة. وبذلك قرأ ورش (٧٣) عن نافع (٧٤) في "الصلاة" التي كتبت بالواو دالة على التفخيم ويضبط ذلك كله المشافهة والتلقي الصحيح.
- ٦- النون المخففة: والتي يقصد بها الغنة، أو النون الأنفية، التي تظهر في قراءة القرآن في حالة ما يسمى بالإخفاء، وفي هذه الحالة تنطق النون أنفية مع وضع اللسان في مخرج الصوت التالي لها (٧٥).

كما تبين الحروف المكتوبة الحروف المنقوطة، كذلك يبين الشكل المكتوب الإعراب المنطوق، فنقط المصحف وشكله شكلاً كاملاً واجب في هذا الزمان لتيسير قراءة القرآن لكل من أرادها من سائر فئات الناس، وأيضاً للمبالغة في صيانتها من اللحن والتحريف، وكلما امتد بالناس ازدادت عنايتهم بتيسير الرسم القرآني والضبط والنقط. قلت: وقد اتخذ هذا التيسير أشكالاً مختلفة، حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري بلغ الرسم ذروته من الجودة والحسن وأصبح الناس يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة، وأخذت يد التجويد والصقل والتحسين تتناول المصاحف على ألوان شتى وضروب متنوعة، فمن تحسينات مادية ترجع إلى النسخ والطبع والحجم والورق، وتحسينات معنوية ترجع إلى تقريب نطق الحروف وتمييز الكلمات وتحقيق الفروق عن طريق الإعجام والشكل، فواكب ذلك عقبات اعترضت اتجاه الناس نحو تحسين الرسم القرآني. فكان العلماء يرون كراهة نقط المصحف وشكله مبالغة منهم في المحافظة على أداء القرآن كما رسم في المصحف وخوفاً من أن يؤدي ذلك إلى النفي منه.

٧٣- ورش هو عثمان بن سعيد أبو سعيد المصري المقرئ، قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات في حدود سنة ١٥٥هـ ونافع هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه و"الورش" شيء يصنع من اللبن، وكان ثقة حجة في القراءة، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه وتوفي سنة ١٩٧هـ. غاية النهاية، ج ١، ص ٥٠٢، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٥٢، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٤٨١.

٧٤- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أبو رويح المقرئ، أحد الأعلام وأقرأ الناس دهرًا طويلاً، فقرأ عليه من القدماء مالك والواقدي وغيرهما وقال مالك: نافع إمام الناس في القراءة، توفي سنة ١٦٩هـ. سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٣٣٦، مرآة الجنان، ج ١، ص ٣٦٨، غاية النهاية، ج ٢، ص ٣٣٠.

٧٥- أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص ٩٠ - ١١٠ بتصرف.

ومع مرور الزمن اضطرت ولاية الأمر من المسلمين أن يبعثوا بأوامرهم بإعجام المصحف وشكله للمحافظة على أداء القرآن كما رسم في المصحف وخوفاً من أن يؤدي تجرده من النقط والشكل إلى التغيير فيه، فزال حكم كراهة الإعجام والشكل وحل محله القول بوجوب أو استحباب الإعجام والشكل لما هو مقرر في علم الأصول: أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً. والخطب في الإعجام والشكل سهل على كل حال، ما دام الغرض هو التسهيل والتيسير على الأمة وما دام الأمر طالباً للتحسين والإيضاح وتحقيق الحروف. والأمر يختلف اختلافاً كلياً في رسم المصحف فرسمه عبارة عن الأسس والأعمدة، أما الضبط فعبارة عن بياض هذه الأسس والأعمدة وطلائها.

والقرآن الكريم من أعظم الكتب التي نالت عناية عظيمة في النقل والتدوين، ابتداءً من الصدر الأول كما سبق بيانه، ومن تبعهم إلى زماننا هذا، فنقلوا أدق تفاصيله كتابةً ونطقاً متعبدين بذلك لربهم، فكانوا من أدوات حفظ القرآن ووصوله سالماً من التحريف والتبديل، لتتضح بذلك حقيقة الحفظ الإلهي للقرآن الكريم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٧٦). واتبع الكتبة من الصحابة في رسم المصاحف العثمانية ما كان جارياً من القواعد القياسية للكتابة العربية من تصوير الكلمات بحروف هجائها دون زيادة أو نقص أو غير ذلك.

إلا أنهم خالفوا هذه القواعد في بعض الألفاظ فرسمت بالزيادة أو الحذف أو الإبدال أو غير ذلك من الظواهر التي باتت تعرف فيما بعد بالرسم العثماني، وفيها صنف العلماء مؤلفاتهم الخاصة برسم المصحف، ليعرف ما يقبل وما يرد من القراءات فكان بذلك أحد أركان القراءة الصحيحة. وقد حصرها العلماء في: الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما.

فالحذف كالذي يكون للألفات والياءات والواوات وهو على ثلاثة أنواع: حذف إشارة: كلفظ "واعدنا" من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (٧٧)، رسمت بحذف الألف إشارة إلى القراءة الأخرى. حذف اختصار: كحذف ألف جمع المذكر السالم في لفظ "ساعون" من قوله تعالى: ﴿ سَمْعُونََ لِلْكَذِبِ سَمْعُونََ لِقَوْمٍ ءآخِرِينَ ﴾ (٧٨)، والألف من جمع المؤنث السالم في لفظ

٧٦- سورة الحجر، الآية: ٩.

٧٧- سورة البقرة، الآية: ٥١.

٧٨- سورة المائدة، الآية: ٤١.

"المسلمات، المؤمنات" من نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ...﴾ (٧٩). حذف اقتصار: وهو ما اختص ببعض الكلمات دون بعض.

أما الزيادة فكزيادة الألف في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا أذْبَحْنَهُ﴾ (٨٠)، والواو في لفظ "أولو" مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا الْأَيْبَةَ﴾ (٨١)، وزيادة الياء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِ﴾ (٨٢) رسمت بزيادة الياء في "بأيد".

والبدل: وهو جعل حرف مكان حرف آخر، ك رسم الألف واوًا في مثل "الصلاة، الزكاة".
أما الهمزة: فرسمها له عدة حالات، خلاصتها: أنها إما أن تكون ساكنة أو متحركة، والساكنة إما أن تكون وسطًا أو طرفًا، وهي في هاتين الحالتين تصور بحسب الحرف الذي قبلها، فإن كان مفتوحًا رسمت ألفًا مثل "أنشأتهم" وإن كان مكسورًا صورت ياء، مثل: "نبيّ" وإن كان مضمومًا رسمت واوًا مثل: "اللؤلؤ".

أما المتحركة: فإن كانت في ابتداء الكلام رسمت ألفًا مطلقًا مثل: "أبصر، إخراج، أعيدك".
وإن كان وسطًا: فإن كان ما قبلها متحركًا رسمت ألفًا إن كانت مفتوحة وقبلها فتح مثل "سألوا"، وإن كانت مكسورة رسمت ياء بعد الحركات الثلاث مثل: "يتسوا، بارئكم، سئلت" وكذلك إذا كانت مفتوحة أو مضمومة وقبلها كسر مثل: "فئة، سنقرئك". كما ترسم واوًا إذا كانت مضمومة، بعد فتح مثل: "رؤوف"، أو مفتوحة بعد ضم مثل: "مؤجلًا". أما إن سكن ما قبلها: فإنها تحذف صورتها مثل: "يسئمون، نساءكم"، إلا إذا كانت مكسورة بعد ألف، فإنها ترسم ياء مثل: "قائمة"، أو مضمومة بعد ألف، فإنها ترسم واوًا، مثل: "هاؤهم".

أما المتطرفة: فإن كان ما قبلها متحرك رسمت بصورة الحرف الذي منه حركته، مثل: "بدأ، قرئ، نقرؤه" وإن سكن ما قبلها لم ترسم صورتها مثل "ملء، شيء، سوء" هذه هي القواعد العامة للهمزة.

٧٩- سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

٨٠- سورة النمل، الآية: ٢١.

٨١- سورة ص، الآية: ٢٩.

٨٢- سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

وقد خرج عن هذه القواعد كلمات مخصوصة رسمت بصورة معينة، مثل كلمة "رءيا" كتبت بياء واحدة، وحذفت صورة الهمزة، كراهة اجتماع مثلين.

ومثل: "تؤى، تؤيه" رسمتا بواو واحدة، وكذلك "الرءيا" مضموم الواو كتب بحذف الواو. وما كانت فيه قراءتان ورسم على إحداهما:

ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾^(٨٣) كتبت في مصحفى أهل المدينة والشام "وأوصى" وفي بقية المصاحف "ووصى" حسب قراءة كل منهم^(٨٤).

ولم يخالف الصحابة رضي الله عنهم قواعد الكتابة العربية القياسية إلا لأمر قد تحققت عندهم، وأسرار وحكم تشهد لهم بأنهم كانوا الغاية في الذكاء والفتنة والعلم بدقائق اللغة وفنونها، قال الإمام أبو عمرو الداني: "وليس شيء من الرسم، ولا من النقط اصطلح عليه السلف رضوان الله عليهم إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب، وقصدوا به طريقا من اللغة والقياس، لموقعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"^(٨٥).

واستمر المسلمون يقرأون القرآن على ما رسم من مصاحف عثمان رضي الله عنه دون الحاجة إلى علامات توضح إعراب الكلمات أو تميز الحروف عن بعضها، معتمدين في ذلك على ما تلقوه مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة الأثبات والحفاظ من الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى ما جلبوا عليه من السلفية في كلامهم لا يلحنون ولا يجرфон، يرشدهم السياق ومقتضى المقام.

فلما دخل الأعاجم في الإسلام، واختلطت اللسان العربي بغيره سرى في القوم اللحن وظهر، وخيف على القرآن من ذلك لاسيما والمصاحف لم تكن مشكولة ولا منقوطة، قال الإمام الداني مصورا هذه الحالة: "اعلم أيديك الله بتوفيقه أن الذي دعا السلف رضي الله عنهم إلى نطق المصاحف بعد أن كانت خالية من ذلك وعارية منه وقت رسمها وحين توجيهها إلى الأمصار للمعنى الذي بيناه والوجه الذي

٨٣- سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

٨٤- لمزيد من التفصيل ينظر: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٢٠ وما بعدها، العلامة الخراز، دليل الخيران شرح مورد الظمان في رسم وضبط القرآن، راجعه: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٧م، ص ٦٥-٣٣٨.

٨٥- المحكم في نطق المصاحف، ص ١٩٦.

شرحناه ما شاهدوه من أهل عصرهم مع قريتهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها من فساد ألسنتهم واختلاف ألفاظهم وتغير طباعهم ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه مع مرور الأيام وتداول الأزمان من تزايد ذلك وتضاعفه فيمن يأتي بعد من هو لاشك في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه ممن عرض له الفساد ودخل عليه اللحن لكي يرجع إلى نقطها ويصير إلى شكلها عند دخول الشكوك وعدم المعرفة ويتحقق بذلك إعراب الكلم وتدرج به كيفية الألفاظ" (٨٦).

فكان أول ما دخل فيهم اللحن في الإعراب، ويمكن حصر أسباب تسرب اللحن إلى اللغة العربية في العرب الذين اختلطوا بالأعاجم، ورغبة هؤلاء الموالي والأعاجم في تعلم العربية وتفهمها، ليستغلوا مواهبهم في القراءة والكتابة، وقراءة القرآن لأداء العبادة (٨٧).

فجاء صنيع أبي الأسود الدؤلي رحمه الله ملياً لهذه الحاجة، وساداً لهذه الثغرة بأمر زياد والي معاوية، وبهذا يكون أول عمل يدخل على المصاحف بعد رسمها. وكان عمله فيها هو عبارة عن وضع نقطة فوق الحرف المفتوح، ونقطة أما الحرف المضموم، ونقطة تحت الحرف المكسور، ونقطتين للتونين على الحرف، يخالف لونها لون كتابة المصحف خشية اللبس بينهما، وهو ما عرف بالنقط المدور.

ودام الأمر على هذا بالنسبة لنقط الإعراب حتى جاء عصر الدولة العباسية فقام الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله بتعديل نقط أبي الأسود من النقط المستدير إلى النقط المستطيل، أو ما يعرف اليوم بالشكل، فجعل علامة الفتحة ألفاً صغيرة مبطوحة، لأن الفتحة إذا أشبعت تولد منها ألف، وعلامة الضم واواً صغيرة، لأن الضمة إذا أشبعت تولد منها واو، وعلامة الكسرة ياء صغيرة، لأن الكسرة إذا أشبعت تولد منها ياء، وزاد على ذلك فجعل علامة للتشديد وهي رأس شين، وعلامة للسكون وهي رأس خاء، وأخرى للهمز، وعلامة للاختلاس والإشمام والمد (٨٨)، ثم دخل على هذه العلامات الاختصار والتحسين حتى صارت إلى ما هي عليه اليوم.

ولم يكن ضبط أبي الأسود الدؤلي ومن بعده الخليل كافياً، لأنه اقتصر على نقط الإعراب من الكلمة، وبقي شيء من اللبس كون كثير من أحرف اللغة العربية رسمت بصورة واحدة لأصوات مختلفة مثل: "ح" شكل واحد لثلاثة أحرف هي: الجيم والحاء والحاء، فاحتاج الناس للتفريق بين هذه الصور

٨٦- المرجع السابق، ص ١٨-١٩.

٨٧- الطراز في شرح ضبط الخراز، ص ٤٣.

٨٨- إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين، ص ٦.

والأصوات، فكان نطق الإعجام لتسهيل هذه المسألة حين جاء نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحجاج والي العراق في زمن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وهما من أكابر علماء القراءات واللغة في زمانها فوضعا ذلك النقط لتميز الحروف عن بعضها فمثلاً: جعلنا نقطة داخل الشكل المذكور "ج" علامة للجيم، ونقطة فوقه "خ" علامة الخاء، وتركاه مهملاً "ح" لحرف الخاء، وقس عليها غيرها، وجعلنا هذا النقط بلون مداد المصحف ليتميز عن نطق أبي الأسود.

وبهذا يتبين أن المراد بالضبط: هو الذي يعرف به ما يدل على عوارض الحرف التي هي: الفتح والضم والكسر والسكون والشدة والمد والروم والإشمام وغيرها^(٨٩).

وبناء على ذلك فإنه يجب على كل من أراد كتابة مصحف أن يكتبه على مقتضى الرسم العثماني فإن كتبه على مقتضى الرسم القياسي فقد خالف الأحاديث الواردة في طلب الاقتداء بالصحابة وخالف ما أجمع عليه الصحابة وخرق إجماع من بعدهم من علماء الأمة من سلف وخلف كما هو مروى عن الأئمة الأربعة: أبي حنيفة^(٩٠) ومالك^(٩١) والشافعي^(٩٢) وأحمد^(٩٣) رحمهم الله، وكذا غيرهم، حتى كان هذا

٨٩- هناك تفصيل كثير لكيفية الضبط بهذه العلامات، واختلاف بين المشاركة والمغاربة وغيرهم يطول بسطها، إلا أن ما استقر عليه العمل في المصاحف اليوم قد بينته تلك المصاحف المطبوعة في آخر صفحاتها لتعريف القارئ بما جرى عليه العمل فيها كمصحف المدينة المنورة، وينظر في ذلك أيضاً: الداني، المحكم في نطق المصاحف، وسليمان بن نجاح، كتاب أصول الضبط وكيفية على جهة الاختصار، وغانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية.

٩٠- أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، الإمام فقيه الملة عالم العراق، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة ورأى أنس بن مالك وعُني بطلب الآثار وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك، توفي سنة ١٥٠هـ. تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣٢٣، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٤١٥، سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٣٩٠.

٩١- مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الحميري الأصبحي شيخ الإسلام، حجة الأمة إمام دار الهجرة، طلب العلم وهو حدث، قال عنه ابن حجر: الفقيه المدني إمام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المشبهين، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٨، تقريب التهذيب، ص ٥١٦، رقم ٦٤٢٥، شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٢.

٩٢- الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن عبد مناف بن قصي، الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، حبيب إليه الفقه فساد أهل زمانه، وصنف التصانيف ودون العلم ورد على الأئمة متبعاً الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته وتكاثر =

إجماعًا وكان الخلاف فيه من البعض شاذًا لا يعتد به.

ويروي الداني رحمه الله "أن إمام المدينة مالكًا رحمه الله سئل، فقيل له: رأيت من استكتب مصحفًا اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم، فقال: "لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبه الأولى" (٩٤) يقول ابن القاصح (٩٥) من علماء القرن الثامن الهجري رحمه الله: "وهذا مذهب الأئمة رحمهم الله وخص مالكًا لأنه حكى فتياه، ومسنده مسند الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم" (٩٦). ويروي الداني أيضًا بسنده "قال أشهب (٩٧): سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل: الواو والألف، أترى أن تغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك، قال: لا. قال أبو عمرو: يعني: الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى

= عليه الطلبة، توفي سنة ٢٠٤هـ. الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٧١، غاية النهاية، ج ٢، ص ٩٥، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٥.

٩٣- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس أبو عبد الله الشيباني المروزي البغدادي، الإمام شيخ الإسلام أحد الأئمة الأعلام طلب العلم وهو ابن خمس عشر، سنة، حدث عنه البخاري صاحب الصحيح، وقال الإمام ابن حجر عنه: ثقة حافظ فقيه حجة، توفي سنة ٢٤١هـ. طبقات ابن سعد، ج ٧، ص ٣٥٤، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٣، غاية النهاية، ج ١، ص ١١٢.

٩٤- أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصحف، ص ١١، باب ذكر من كره نقط المصاحف، والمقنع في رسم المصحف، ص ١٩.

٩٥- ابن القاصح هو علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن البغدادي أبو البقاء مقرئ، من تصانيفه سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي على حرز الأمان في القراءات وتحفة الأنام في الوقف على الهمز ولحمزة وهشام، وقرة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين، ودرة الأفكار في معرفة أوقات الليل والنهار، وتوفي ابن القاصح سنة ٨٠١هـ. ابن الجزري، طبقات القراء، ج ١، ص ٥٥٥، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٦٠، العلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٤٧.

٩٦- العلامة أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد القاصح، سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م، ص ١٠.

٩٧- أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم أبو عمرو، الإمام العلامة مفتي مصر الفقيه، سمع مالك بن أنس، قال عنه الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب وتوفي سنة ٢٠٤هـ. القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إمام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ج ٢، ص ٤٤٧، الديباج المذهب، ج ١، ص ٣٠٧، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٠٠.

المعدومتين في اللفظ" (٩٨). مثل: "سأوريكم" (٩٩) و "أو لأذبحنه" وغير ذلك (١٠٠).
وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله "تحرم مخالفة خط المصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو
غير ذلك" (١٠١).

وقال الإمام البيهقي (١٠٢) في شعب الإيمان: "من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء
الذي كتبوا به هذه المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً
ولساناً وأعظم أمانة منا. فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدرأنا عليهم" (١٠٣).

وقال الزمخشري (١٠٤) رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ بَأْسَ كُلِّ الْأَطْعَامِ﴾ (١٠٥)
وقعت اللام في المصحف مفصولة عن "هذا" خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة
لا تتغير، ومما هو معلوم أن عمل الخليفة عثمان رضي الله عنه هذا أقره صحابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم استمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وعصور الأئمة المجتهدين

-
- ٩٨- المقنع في رسم المصحف، ص ٣٦.
٩٩- سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.
١٠٠- سورة النمل، الآية: ٢١.
١٠١- الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات
القرآنية، المملكة العربية السعودية، النوع السادس والسبعون، ج ٦، ص ٢٢٠٠.
١٠٢- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الإسلام، بورك له في علمه،
وصنف التصانيف النافعة، كان واحد زمانه في الحفظ وفرد أقرانه في الإتيان والضبط، كتب الحديث وحفظه من
صباه، وتفقه وبرع وأخذ فن الأصول وارتحل إلى العراق، والجلال والحجاز، له مصنفات كثيرة منها: شعب الإيمان
والسنن الكبرى والآداب ودلائل النبوة، توفي رحمه الله سنة ٤٥٨هـ. الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٣٥٤، وفيات
الأعيان، ج ١، ص ٧٥، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٦٣.
١٠٣- الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، باب في تعظيم القرآن، تحقيق: سعيد زغلول، دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٥٤٨.
١٠٤- الزمخشري محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الخوارزمي النحوي، صاحب الكشاف والمفصل، وحج وجاور
وتخرج به أئمة، توفي سنة ٥٣٨هـ. معجم الأدباء، ج ٥، ص ٤٨٩، أنباه الرواة، ج ٣، ص ٢٦٥، الحافظ جلال
الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ج ٢، ص ٢٧٩.
١٠٥- سورة الفرقان، الآية: ٧.

والسلف الصالح، ولم يثبت أن أحداً من هؤلاء جميعاً حدثته نفسه أن يغير شيئاً من مرسوم المصحف علماً بأنه كان هناك خيرة العلماء والأئمة المجتهدين.

ثم إن هناك العديد من القراءات القرآنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرسم العثماني، ونقلت تلك القراءات إلينا نقلاً متواتراً، فلوا أننا اتبعنا في رسم المصحف الرسم الإملائي لذهبت تلك القراءات واختلفت اختلافاً كلياً، وتغيرت عما وردت به عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثال ذلك: المقطوع والموصول في الكلمات ذوات النظير مثل "أن" بفتح الهمزة توصل بـ "لا" إذا وقعت بعدها واستثنى منها مواضع في القرآن جاءت مفصولة. و"من" توصل بـ "ما" إذا وقعت بعدها، واستثنى من ذلك مواضع وأيضاً رسم تاء التانيث فمثلاً كلمة "امرأة" رسمت في قوله تعالى: ﴿أَمْرَأْتُ عِمْرَانَ﴾ (١٠٦) بالتاء المبطوطة أي المبسوطة، ورسمت في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أُمَّرَأَةً حَافَتَ﴾ (١٠٧) بالتاء المربوطة، ففي هذه وتلك خلاف بين القراء في الوقف عليه يرجع إليه في مظانه.

ومثله أيضاً حكم رسم الهمزة، وهذا باب مختلف اختلافاً كلياً عن حكم رسم الهمزة حسب القواعد الإملائية وكل من: حمزة بن حبيب الزيات (١٠٨) وهشام بن عمار الدمشقي (١٠٩) لهما أثناء الوقف على هذه الهمزات قراءات وكيفيات مخصوصة تتعلق بكيفية هذا الرسم يعرفها العلماء بهذا الفن، فلوا أننا أخضعنا قواعد رسم الهمزة لقواعد الرسم الإملائي لضاع الكثير من القراءات المترتبة على حكم رسم الهمزة تبعاً للرسم العثماني.

المطلب السادس: أركان القراءة المقبولة:

ثم إن الرسم العثماني صار أحد الشروط التي يجب تحققها في كل قراءة لتعد صحيحة تجوز القراءة بها إلى جانب صحة السند، وموافقة العربية.

١٠٦- سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

١٠٧- سورة النساء، الآية: ١٢٨.

١٠٨- حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل أبو عمارة الكوفي الزيات، أحد القراء السبعة، تصدر للإقراء مدة وقرأ عليه عدد كثير، وكان إماماً حجة حافظاً للحديث بصيراً بالعربية عابداً خاشعاً قانتاً لله، توفي سنة ١٥٦هـ معرفة القراء، ج ١، ص ١١١، امرأة الجنان، ج ١، ص ٣٣٢، غاية النهاية، ج ١، ص ٢٦١.

١٠٩- هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي، شيخ أهل دمشق ومفتيهم وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم، وكان واسع الرواية متبحراً في العلوم، توفي سنة ٢٤٥هـ. طبقات ابن سعد، ج ٧، ص ١٧٤، غاية النهاية، ج ٢، ص ٣٥٤، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٤٢٠.

والواضح أن هذه الأركان الثلاثة التي عدت هي أركان القراءة الصحيحة لم تكن من صنع المتأخرين بل وجدت من يوم خطت المصاحف العثمانية وأرسلت إلى الأمصار، وكان هذان المقياسان: صحة الرواية وموافقة الخط يعملان في توجيه نقل القراءات منذ زمن مبكر قبل أن يبدأ التأليف وتدوين القراءات في الكتب، وقبل أن ينظر علماء العربية في اللغة ويقصدوا قواعدها، وربما برزت بشكل منظم مع بداية التأليف في القراءات التي لا تخرج عن خط المصحف، ويؤيد ذلك ما نقله أبو بكر الأنباري (١١٠) أن أبا عبيد القاسم بن سلام (١١١) قد بين اختياره في الوقف على ما رسمت فيه هاء السكت بقوله: "الاختيار عندي في هذا الباب كله الوقوف عليها بالهاء بالتمتع لذلك، لأنها إن أدمجت في القراءة مع إثبات الهاء كان خروجاً في الكتاب، فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاء اجتمعت له المعاني الثلاثة: من أن يكون مصيباً في العربية وموافقاً للخط وغير خارج من قراءة القراء" (١١٢).

وأكثر العلماء بعد أبي عبيد من ذكر هذه الأركان الثلاثة بعبارة متقاربة، قال مكّي (١١٣) بن أبي طالب في الإبانة: "وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في

١١٠- أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، المقرئ النحوي البغدادي، صاحب التصانيف، وكان ثقة صدوقاً وكان زاهدا متواضعا وكان رأسا في نحو الكوفيين، له كتاب المذكر والمؤنث وإيضاح الوقف والابتداء. بغية الوعاة، ج ١، ص ٢١٢، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٨٠.

١١١- أبو عبيد القاسم بن سلام الأنصاري البغدادي، الإمام أحد الأعلام، ذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر، قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً وساعاً عن الكسائي وقال الداني: إمام أهل دهره في جميع العلوم صاحب سنة ثقة مأمون توفي سنة ٢٢٤هـ، الإمام عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ١٤٨، أنباه الرواة، ج ٣، ص ١٢، غاية النهاية، ج ٢، ص ١٧.

١١٢- أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، طبعة دمشق، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ج ١، ص ٣١١، باب ذكر ما يوقف عليه.

١١٣- مكّي بن أبي طالب: هو مكّي بن حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم القرطبي، صاحب التصانيف، كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم، له مصنفات كثيرة منها: الهداية إلى بلوغ النهاية والرعاية لتجويد القرآن والكشف عن وجوه القراءات، توفي سنة ٤٣٧هـ، الإمام عبد الباقي بن عبد المجيد البيهقي، إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٥٤، برقم: ٢١٦، بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٩٨، الوافي بالوفيات، ج ٢٦، ص ٣٦٢.

العربية وموافقته للمصحف واجتماع العامة عليه"، ويّين المقصود من اجتماع العامة عليه في موضع آخر من الكتاب بقوله: "أن ينقل الثقات إلى النبي صلى الله عليه وسلم" (١١٤) وقال الإمام السيوطي رحمه الله (١١٥): "وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزري"، ثم نقل كلامه في أركان القراءة (١١٦).

والشمس ابن الجزري رحمه الله كان يقول بالتواتر كما جاء في كتابه منجد المقرئين، قال رحمه الله: "نقول: كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً وتواتر نقلها هذه القراءة المتواترة المقطوع بها". وتكلم عن هذه الأركان ثم قال: "وقول من قال إن القراءات المتواترة لا حد لها إن أراد في زماننا غير صحيح، لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله" (١١٧).

وتكلم أيضاً رحمه الله عن القراءة الصحيحة وقسمها إلى قسمين:

القسم الأول:

ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه ووافق العربية والرسم. وقسم هذا أيضاً إلى ضربين: ضرب استفاض نقله، وتلقاه الأئمة بالقبول. وعن هذا الضرب قال "وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها" (١١٨). ثم عدل عن هذا القول كما صرح بذلك في نشره قال: "ولقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده، وموافقة أئمة السلف والخلف" (١١٩). يعني

-
- ١١٤- الإمام أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: محي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٣٩.
- ١١٥- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر أعجوبة الدهر شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل الشافعي، صاحب المؤلفات الحافلة الجامعة النافعة المتقنة التي تزيد على خمسمائة مصنف وقد تداولها الناس وتلقوها بالقبول واشتهرت وعم النفع بها، توفي سنة ٩١١هـ. الضوء اللامع، ج ٤، ص ٦٥، البدر الطالع، ج ١، ص ٣٢٨، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥١.
- ١١٦- الإبتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٩١، معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والنشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٩، أركان القراءة الصحيحة.
- ١١٧- الإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: عبد الحي الفرماوي، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، ص ٩١.
- ١١٨- منجد المقرئين، ص ٩٤ في القراءة: المتواترة والصحيحة والشاذة.
- ١١٩- الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العربي، تحقيق ومراجعة: علي محمد الضباع، ج ١، ص ١٣.

رحمه الله بموافقة أهل السلف والخلف قوله "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ونظم ذلك في الطيبة، حيث قال:

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالاً يجوي
وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان(١٢٠)

أقول بعد هذه النقول: إن اشتراط التواتر في قبول القراءة هو رأي جمهور العلماء: من الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن عبد البر(١٢١)، ابن عطية(١٢٢) ابن تيمية(١٢٣)، النووي(١٢٤) والسبكي(١٢٥) والزركشي(١٢٦) وابن الحاجب(١٢٧)،

-
- ١٢٠- الإمام محمد بن محمد أبو القاسم النويري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، لجنة إحياء التراث الإسلامي بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.
- ١٢١- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، أدرك الكبار وطال عمره وعلا سنه وتكاثر عليه الطلبة وجمع وصنف ووثق وضعف وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لعلمه علماء الزمان، توفي سنة ٤٦٣هـ. وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٦٦، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٥٣، الديباج المذهب، ج ٢، ص ٣٦٧.
- ١٢٢- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية، الإمام القاضي الفقيه الحافظ صاحب التفسير العظيم، كان غاية في الذكاء والدهاء شغوفاً بالتقيد واقتناء الكتب، كان من أفاضل أهل السنة والجماعة، توفي سنة ٥٤٦هـ، بغية الوعاة، ج ٢، ص ٧٣، الإمام أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص ٣٨٩، برقم ١١٠٣، السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٦٠ رقم ٤٩.
- ١٢٣- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، الشيخ الإمام العلامة الحبر البحر شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس الدمشقي الحنبلي، صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة ٧٢٨هـ، الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٥٤، البدر الطالع، ج ١، ص ٦٣، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ١٥.
- ١٢٤- النووي يحيى بن شرف بن مری بن حسن محيي الدين أبو زكريا، محدث حافظ لغوي مشارك في بعض العلوم، قرأ الفقه وأصوله والحديث وأصوله والمنطق والنحو وأصول الدين، من تصانيفه: روضة الطالبين، تهذيب الأسماء واللغات، والتبيان في آداب حملة القرآن، توفي سنة ٦٧٧هـ. السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٣٩٥، مرآة الجنان، ج ٢، ص ١٨٢، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٥٤.
- ١٢٥- السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، شيخ الإسلام العلامة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر الدمشقي الشافعي، مصنف جمع الجوامع في الأصول وشرح مختصر ابن الحاجب والأشباه والنظائر، توفي سنة ٧٧١هـ. الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٩، البدر الطالع، ج ١، ص ٤١٠، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٢١.

فهم يرون أن شرط القراءة الصحيحة هو التواتر، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر، ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية، وساغ وجهها في العربية.

وقال الإمام الصفاقسي (١٢٨) رحمه الله في غيث النفع: "وهذه الأحرف السبعة داخلية في القراءات العشر التي بلغتنا بالتواتر" (١٢٩). وقال عن الأركان الثلاثة: "وهذا قول محدث لا يعول عليه ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن، ولا يقدر في ثبوت التواتر اختلاف القراءة فقد تتواتر القراءة عند قوم دون قوم" (١٣٠). فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة غيره، لأنها لم تبلغه على وجه التواتر. ولذا لم يعب أحد منهم على غيره قراءته لثبوت شروط صحتها عنده، وإن كان هو لم يقرأ بها لفقد الشرط عنده.

واعترض على ابن الجزري تلميذه الإمام أبو القاسم (١٣١) النويري في شرح الطيبة حيث قال:

١٢٦- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، أخذ عن الإسنوي وابن كثير، وألف تصانيف في عدة فنون منها، البرهان في علوم القرآن، توفي سنة ٧٩٤هـ، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣٦٦، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ١٧، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٣٥.

١٢٧- ابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الشيخ الإمام العلامة المقرئ الأصولي الفقيه النحوي جمال الأئمة والملة والدين أبو عمر، كان من أذكاء العالم، رأساً في العربية وعلم النظر، وسارت بمصنفاته الركبان، توفي سنة ٦٤٦هـ. غاية النهاية، ج ٢، ص ٥١٦، بغية الوعاة، ج ٢، ص ١٣٤، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢٦٤.

١٢٨- الصفاقسي هو العلامة الواسع العارضة أبو الحسن علي بن محمد النوري، محي السنن وعلم القراءات بالقطر التونسي، صاحب كتاب غيث النفع في القراءات السبع، وكان فريد العصر، توفي سنة ١١١٨هـ الحافظ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات، ١٣٨٢هـ اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج ٢، ص ٦٧٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج ٧، ص ٢٠١.

١٢٩- غيث النفع (المقدمة)، ص ٦.

١٣٠- المصدر نفسه.

١٣١- النويري محمد بن محمد بن محمد أبو القاسم، ولد بالقاهرة ٨٤٧هـ ونشأ بها وحفظ القرآن وحفظ ألفية الحديث وألفية النحو وألفية والده في النحو والصرف والعروض والقافية، توفي سنة ٨٧٣هـ الشيخ أحمد بابا التنبكي، نيل الانتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله المرامنة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط ١، ١٣٩٨هـ/١٩٨٩م، ص ٥٥٢، برقم ٦٧٣، الضوء اللامع، ج ٩، ص ٢٨٧، الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره: فيليب حي، المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك، ١٩٢٧م، ص ١٦٠، برقم ١٦٨.

"هذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين" (١٣٢).

أقول: والذي لا شك فيه أن الركن الوحيد الذي ينبغي أن يقتصر عليه التواتر، ذلك لأن القرآن كله متواتر، لا يشك في ذلك مسلم من المسلمين، وقراءته يتعبد بتلاوتها وقراءاته المختلفة كلها قرآن "فتبينوا" (١٣٣) و "فتثبتوا" في نفس الموضع و "إنه لحق مثل" (١٣٤) إن قرأت برفع اللام وإن قرأت بنصب اللام فهي قرآن. فالقراءة التي يتعبد بتلاوتها، لا بد من تواترها لإثبات قرآنتها، وهي التي يرويها جمع عن جمع. أما القراءة التي لم تتوافر سندًا فلا تعتبر قراءة مهما أضفت إليها من شروط ومعايير.

فإذا وضح عندنا صحة اعتبار تواتر السند فلا ضير في الركنين الأخيرين لأنه لم يثبت أن قراءة من القراءات المتواترة قد خالف الرسم القرآني من خلال التتبع والاستقراء.

فالقراءات العشر متواترة، بمعنى أن ثبوت التواتر بالنسبة إلى المتفق على قراءته من القرآن كثبوته بالنسبة إلى كل من المختلف في قراءته، ولو لم نقل بأن القراءات متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر.

فقراءة "صراط، سراطا" متواتر، إذ لا سبيل إلى كون كليهما غير متواتر، فإن أحدهما قرآن بالاتفاق، وتخصيص أحدهما بأنه متواتر دون الآخر ترجيح بين المتساويين بلا مرجح، لاستوائهما في النقل فلا أولوية فكلاهما متواتر.

ثم إن الناظر إلى علاقة الأمة بالقرآن الكريم منذ نزوله إلى اليوم يؤكد أن كل جزئية من جزئياته تواترت واجتمع على أخذها وتلاوتها ما لا يحصى من الحفاظ، ورواها عنهم أمم لا يحصون كثرة وعدداً في جميع العصور والأجيال لم تخل أمة من الأمم ولا زمن من الأزمان إلا وفيه من الكثرة الكاثرة والجمع الغفير من يروي قراءات هؤلاء الأئمة وينقلها لغيره إلى زماننا هذا.

واكتفاء شيوخ القراء في ضابط القراءة: بصحة السند وموافقة العربية ورسم المصحف ولم يشترطوا التواتر مع أنه لا بد منه وكانت من أجل التيسير على الطالب تمييز القراءات المقبولة من غيرها فيما عدا القراءات العشر المتواترة التي صح تواترها عند هؤلاء الأعلام، فإن من السهولة على طالب العلم

١٣٢- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ١١٩.

١٣٣- سورة النساء، الآية: ٩٤.

١٣٤- سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

بمجرد رعايته لهذا الضابط أن يميز القراءات الصحيحة من غير الصحيحة، أما إذا شرطوا التواتر فإنه يصعب عليه ذلك التمييز لأنه يحتاج في ذلك إلى أن يصل إلى جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أوله إلى آخره.

وأدلل على صحة ما أقوله بنقول أنقلها عن شيخ الشيوخ وإمام الصنعة الإمام العلم ابن الجزري أول من عشر القراءات العشر. قال رحمه الله في كتابه المشهور النشر في القراءات العشر: "فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في العصر الأول قل من كثر ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أما لا تحصى، وطوائف لا تستقصى والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر وهلم جرا، فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق وقل الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات" (١٣٥).

وقال رحمه الله أيضاً في النشر بعد أن جرى بينه وبين العلامة قاضي القضاة أبي نصر عبد الوهاب بن السبكي رحمه الله كلام كثير، عن قوله في كتابه جمع الجوامع في الأصول: "والسبع متواترة والصحيح أن ما وراء العشر فهو شاذ، وإذا كانت العشر متواترة فلم لا قلتم والعشر متواترة بدل قولكم والسبع فأجاب أما كوننا لم نذكر العشر بدل السبع... "وقد جرى" بيني وبينه في ذلك كلام كثير، وقلت له: ينبغي أن تقول والعشر متواترة ولا بد" (١٣٦).

ثم كتب له استفتاء في ذلك، أي: في تواتر القراءات العشر، وصورته: "ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في القراءات العشر التي يقرأ بها اليوم، هل هي متواترة أو غير متواترة؟ وهل كلما انفرد به واحد من العشرة بحرف من الحروف متواتر أم لا؟ وإذا كانت متواترة فما يجب على من جحدتها أو حرفاً منها؟" (١٣٧). قال ابن الجزري رحمه الله: "فأجابني ومن خطه نقلت: الحمد لله: القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي (١٣٨) والثلاث التي هي قراءة: أبي جعفر (١٣٩) وقراءة يعقوب (١٤٠) وقراءة

١٣٥- النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٣٣.

١٣٦- المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

١٣٧- المصدر نفسه.

١٣٨- الشاطبي القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد أبو محمد الرعيبي، الإمام المقرئ الضرير أحد الأعلام، استوطن مصر واشتهر اسمه وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحي، وكان إماماً علامة ذكياً كثير الفنون منقطع القرين رأساً في =

خلف (١٤١) متواترة معلومة من الدين بالضرورة وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١٤٢).

هذه المواقف والأقوال للإمام ابن الجزري رحمه الله تدل، وكما يظهر للمتأمل، على أن الركن الأول والشرط الأساسي للقراءات العشر هو تواتر السند بالقراءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأن موافقة القراءة للرسم، وموافقتها لوجه من وجوه العربية مجمعٌ عليه مختلفٌ عليه، أو مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، فالأصح - والله أعلم - أنها أضيفا ليصاغ من الثلاثة ما ينطبق تمام الانطباق على القراءات العشر المعروفة اليوم.

وليخرج بذلك قراءات متواترة ترك القراءة بها منذ حمل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس على مصحفه لمخالفتها رسمه.

فالرسم المصحفي بصورته التي نجدها اليوم في المصاحف لا يعجز كل من عرف القراءة والكتابة - ولو لدرجة قليلة - أن يقرأ دون أن يخطئ.

ولا يعني ذلك أن الرسم هو المعتمد في تحقيق ألفاظ التلاوة، إلا أن الرسم مع ذلك قادر على أن يشير إلى قراءة معينة من بين القراءات المروية الموافقة للرسم على أنها القراءة التي قصدتها كتبة المصحف حين رسموا الكلمة المعينة.

-
- = القراءات حافظاً للحديث بصيراً بالعربية واسع العلم وكان موصوفاً بالزهد والعبادة، توفي سنة ٥٩٠هـ. معجم الأدباء، ج ٤، ص ٦١٨، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٢٦١، غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٠.
- ١٣٩- أبو جعفر يزيد بن القعقاع أحد العشرة، مدني مشهور رفيع الذكر قرأ القرآن على موله عبدالله ابن عياش بن أبي ربيعة، وقال مالك بن أنس رحمه الله: كان أبو جعفر القارئ رجلاً صالحاً يفتي الناس بالمدينة، وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٢٧٤، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٧٣، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٧٢.
- ١٤٠- يعقوب بن إسحاق الحضرمي: قارئ أهل البصرة في عصره، الإمام برع في الإقراء وقال علي بن جعفر، كان يعقوب أقرأ أهل زمانه وكان لا يلحن في كلامه وكان أبو حاتم من بعض تلامذته وكان عالماً بالعربية ووجهها والقرآن واختلافه فاضلاً تقياً نقياً ورعاً، توفي سنة ٢٠٥هـ. إشارة التعيين، ص ٣٨٥، رقم ٢٣٣، أنباه الرواة، ج ٤، ص ٤٥، بغية الوعاة، ج ٢، ص ٣٤٨.
- ١٤١- خلف بن هشام الأسدي البغدادي، أبو محمد المقرئ، أحد الأعلام وله اختيار، أقرأ به وخالف فيه حزة وثقه ابن معين والنسائي وقال الدارقطني: كان عابداً فاضلاً، توفي سنة ٢٢٩هـ. تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٣٢٢، غاية النهاية، ج ١، ص ٢٧٢، الداودي، طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٦٣.
- ١٤٢- النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٤٦.

هذا إلى جانب أن في القراءة شيئاً لا تحكمه الكتابة مثل: الروم والإشمام والاختلاس لا بد أن يضبط بالمشافهة والتلقي الصحيح عن القراء المجيدين المتقنين.
أقول لكل من ينادي بتغيير الرسم العثماني أثناء كتابة المصاحف: اتركوا الكلام في هذه القضية، ولا داعي لإثارة مثل هذه الفتن وبلبله أفكار المسلمين، فربما جر إخضاع المصحف لمصطلحات الخط الإملائي إلى فتنة أشبه بالفتنة التي حدثت أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي حملته على أن يجمع القرآن بين دفتين فربما يقول بعض الناس لبعض أو بعض الشعوب لبعض عند اختلاف قواعدهم في رسم المصحف رسمى خير من رسمك أو مصحفني خير من مصحفك، أو رسمى صواب ورسماك خطأ، وقد يجر ذلك أن يؤثم بعضهم بعضاً.

ثم إن الرسم العثماني أشبه بالرسم العام الذي يجمع الأمة على كتابة كتاب ربها سبحانه وتعالى في سائر الأمصار، كاللغة العربية فإنها اللسان العام الذي يجمع الأمة على قراءة القرآن الكريم في سائر الأزمنة والأمكنة، ولقد مرت على الأمة أجيال وقرون وما شعرت بغضاضة في التزامها الرسم العثماني فالقرآن بخير وقراءة القرآن بخير وعلم رسم القرآن بخير وأصبح الآن منتشرًا بين المشتغلين بالدراسات القرآنية.

وأقول للذين يبدون الغيرة على كتاب الله عز وجل خوف الوقوع في الخطأ عند القراءة: أهم أغبر على القرآن أم السلف الصالح من القرون الأولى والثاني والثالث وهي خير القرون بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولذلك فعلى من أراد أن يقرأ في علم من العلوم أن يطلع على مصطلحات ذلك العلم فعلم الفيزياء له قراءة والرياضيات له قراءة والكيمياء له قراءة والعروض له قراءة وهكذا، فلم نترك قراءة القرآن - وهي أجل قراءة - بدون التعرف على مصطلحاتها.

وأقول أيضًا إن الرسم العثماني أثر كريم من أيد كريمة، يتحسس قارئ القرآن من خلاله طيب أنفاس الصحابة رضوان الله عليهم وهم يخطون الكتاب الكريم في المصاحف لأول مرة منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً.

وأخيراً أقول: لو لم يكن في الإحاطة بخصوصية الرسم والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن لكفى بها فضلاً يحسن أثره ويطيب في الدارين ثمرة.

المطلب السابع: وقفات مهمة:

وبعد هذا كله وقبل نهاية هذا البحث لابد من أن أشير إلى أربع مسائل هي في غاية الأهمية.

المسألة الأولى:

ما يُنقل عن لسان بعض النحويين الكبار رحمهم الله قولهم: إن بعض القراءات القرآنية قد خالفت العربية، وزعموا ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾ (١٤٣) بضم الزاي في "زين" وكسر يائه، ورفع لام "قتل" ونصب دال "أولادهم" وخفض همزة "شركائهم" وهي قراءة ابن عامر الدمشقي (١٤٤).

وزعموا ذلك أيضا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (١٤٥) بالكسر وهي قراءة حمزة وقراءة "بارئكم" بإسكان الهمزة لأبي عمرو وغير ذلك من القراءات فإن هذه القراءات ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها، وثبت ذلك دليل على وجوده في العربية وقد رد المتأخرون، ومنهم ابن مالك (١٤٦) رحمه الله، على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد واختار جواز ما وردت به قراءتهم في العربية، وإن منعه الأكثرون مستدلاً به. قال في كافيته مستدلاً بقراءة ابن عامر على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به: "وحجتي قراءة ابن عامر أعظم بها من شاهد وناصر" (١٤٧). ومن ذلك احتجاجه بقراءة الإمام حمزة "والأرحام" على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار قال في ألفيته:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلنا
وليس عندي لازما إذ قد أتى في النظم والنشر الصحيح مثبتا (١٤٨)

١٤٣- سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

١٤٤- ابن عامر الدمشقي هو عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة أخذ القراءة عن ابن الدرداء، قال أحمد بن عبد الله العجلي: ابن عامر شامي ثقة ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني، توفي سنة ١١٨ هـ، ثقات العجلي، ص ٢٦٢، رقم ٨٣١، غاية النهاية، ج ١، ص ٤٢٣، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٨٢.

١٤٥- سورة النساء، الآية: ١.

١٤٦- ابن مالك محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الشافعي النحوي إمام النحاة، كان إماما في القراءات وعللها أما النحو والتصريف فكان فيها بحرا لا يجارى وحبرا لا يبارى توفي سنة ١٧٢ هـ، بغية الوعاة، ج ١، ص ١٣٠، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٧٢، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٣٩.

١٤٧- شرح الكافية الشافية، ج ٢، ص ٩٧٩.

١٤٨- ألفية ابن مالك، ص ٤٨، عطف النسق.

ونقل السمين^(١٤٩) الحلبي في تفسيره الدر المصون عن ثعلب^(١٥٠) أنه قال: "إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعرابًا على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأتقى"^(١٥١).

وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة وأخرى، حتى إن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بهما.

وليس ذلك فحسب بل تراهم في كثير من الأحيان يتشددون في الحكم على قراءة وعلى القراء أنفسهم. وترى فيهم من يرجح قراءة على غيرها وليته يقف عند هذا الحد بل ترى من يعمد إلى قراءة شاذة مخالفة للرسم القرآني ويرى فيها بلاغة لا يراها في المتواترة، فيوجهها توجيهًا بلاغيًا لعنايته وطول باعه وولعه بذلك. فمثلًا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾^(١٥٢).

قرأ الأعمش رحمه الله^(١٥٣) "إلا قليل" بالرفع وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم ترى الزمخشري رحمه الله يقول في كشفه الذي يعتبر من أمهات كتب التفسير بالرأي: "وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبًا وهو باب جليل من علم العربية"^(١٥٤).

١٤٩- السمين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي شهاب الدين، نحوي ومفسر لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه وأخذ القراءات وسمع الحديث من الدبوسي، من تصانيفه تفسير القرآن، الدر المصون وشرح الشاطبية في القراءات، توفي سنة ٧٥٦هـ. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٦٠، غاية النهاية، ج ١، ص ١٥٢، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٧٩.

١٥٠- ثعلب أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم البغدادي، الإمام أبو العباس إمام الكوفيين في النحو واللغة، حفظ كتب الفراء وعني بالنحو أكثر من غيره، وكان ثقة متقنا يستغنى بشهرته عن نعته وكان ضيق النفقة مقترًا على نفسه وكان بينه وبين المبرد منافرات، توفي سنة ٢٩١هـ. بغية الوعاة، ج ١، ص ٣٩٦، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٥.

١٥١- أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج ١، ص ٤٨.

١٥٢- سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

١٥٣- الأعمش سليمان بن مهران، الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، وأقرأ الناس ونشر العلم دهرًا طويلاً، قرأ عليه حمزة الزيات، قال العجلي: كان الأعمش ثقة ثباتًا، وكان يقرئ الناس القرآن رأس فيه وكان فصيحًا، توفي سنة ١٤٨هـ. طبقات ابن سعد، ج ٦، ص ٣٤٢، ثقات العجلي، ص ٢٠٤، رقم ٦١٩، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٩٤.

١٥٤- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأناويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨هـ، ج ١، ص ٢٩٥.

وقد لا يكون هناك أدنى مبرر للحكم بالقوة لقراءة دون أخرى إلا لاشتغالها على نكتة بلاغية يلمحها فيها كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٥٥).
 قال: "قرأ قتادة (١٥٦)" كاشف الضر" على فاعل بمعنى فعل، وهو أقوى من كشف، لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة (١٥٧). وهذا كثير من كشافه يذكر القراءة بدون نقد أو رد، بل بصرف العناية للتوجيه فقط رحمه الله ومن الطاعنين في القراءات أيضًا شيخ المفسرين الإمام الحافظ بن جرير (١٥٨) الطبري رحمه الله في جامع البيان عن تأويل آي القرآن الذي قال عنه الإمام النووي رحمه الله: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثله" (١٥٩).

وهو في موقفه هذا من الطعن يوافق بعض النحاة في ردهم لبعض القراءات المتواترة إذا خالفت قواعد اللغة، فيرفض أو يرجح وفق هذه القواعد أحياناً، أو وفق ما يترأى له من معنى، وقد ثبت أنه إذا تواتر السند أصبحت القراءة قرآناً لا مجال لردّها وفي هذه الحالة لن تخالف رسمًا ولا لغة؛ ذلك لأن قواعد اللغة تصحح وفقاً للقرآن، ولا تصحح هي القرآن.

وكما قال إمام القراء أبو عمرو الداني رحمه الله: "وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها" (١٦٠).

١٥٥- سورة النحل، الآية: ٥٤.

١٥٦- قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، الحافظ قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضري، روي عنه أئمة الإسلام، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، توفي سنة ١١٨ هـ. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٨٥، طبقات القراء، ج ٢، ص ٢٥، طبقات المفسرين، ج ٢، ص ٤٣.

١٥٧- الكشف، ج ٢، ص ٦١١.

١٥٨- ابن جرير الطبري محمد بن جرير أبو جعفر، الإمام صاحب المصنفات والتفسير والتاريخ، ورحل في العلم وله عشرون سنة، قال الخطيب: كان أحد أئمة العلم يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفة وتفرضه وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، توفي ٣١٠ هـ. تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٦٢، أنباه الرواة، ج ٣، ص ٨٩، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٦٤.

١٥٩- الإمام العلامة الفقيه الحافظ أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٨٧.

١٦٠- الإقتان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٩٤، النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ١١٠.

وهناك مثال لرد الإمام الطبري رحمه الله لبعض القراءات المتواترة وتبرير ردها تبرير لغوي، ففي قوله عز وجل: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ (١٦١) قرأ عاصم (١٦٢) رحمه الله "تجارة حاضرة" بالنصب وقرأ باقي العشرة رحمهم الله "تجارة حاضرة" بالرفع (١٦٣).

يقول الإمام الحافظ الطبري رحمه الله: "فإن الذي أختار من القراءة ثم لا أستجيز القراءة بغيره الرفع في التجارة الحاضرة؛ لإجماع القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نص عنهم ولا يعترض بالشاذ على الحجة" (١٦٤). ليته رحمه الله اكتفى بالطعن في القراءة فقط، بل يتهم من يقرأ بذلك بأنه يقرأ من عند نفسه.

المسألة الثانية:

لا بد أن نعلم أنه يجب أن توافق القراءة مرسوم مصحف عثماني سواء أكان مصحف مصر القارئ وبلده أم مصحف غير مصره، إذ ليس بلازم أن توافق قراءة إمام من الأئمة مرسوم مصحف مصره، وإنما اللازم والواجب موافقتها لرسم مصحف عثماني ما، مثل قراءة حفص (١٦٥) وهو كوفي ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ (١٦٦) بزيادة هاء في عملت مخالفا في ذلك مصحف بلده الكوفة. إذ هي مرسومة فيه "وما عملت" بدون هاء، ولا مانع من ذلك حيث وافق مصحفنا عثمانيا.

-
- : .
 - عاصم بن بهدلة الأسدي هو ابن بي النجود الكوفي القارئ مولا هم الإمام أبو بكر أحد السبعة قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش الأسدي وحدث عنها وهو معدود في التابعين وإليه انتهت الإمامة في أبو زرعة وجماعة وقال أبو حاتم محله بالصدق توفي سنة . مرآة الجنان
 - غاية النهاية
 - معرفة القراء الكبار
 - جامع البيان
 - : .
 - المقريئ النحوي البغدادي الضير مقرئ الإسلام وشيخ العراق في
 - قرأ على الكسائي وطال عمره وقصد من ا
 - ورحل في
 - طلب القراءات وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ وهو ثقة في جميع ما يرويه
 - ا وذهب بصره في آخر
 - عمره وكان ذا دين وخير توفي . تاريخ بغداد
 - طبقات المفسرين
 - معرفة
 - القراء الكبار
 - : .

المسألة الثالثة:

وهي مسألة على جانب كبير من الأهمية، حيث إنه لم يكن لطبيعة الرسم العثماني أثر في تعدد وجوه القراءة، وإنما الرسم وسيلة لحفظ القراءات الثابتة النقل، إذ إن تلك الوجوه المختلفة لم يكن لها إلا صلى الله عليه وسلم.

المسألة الرابعة:

مر الأول لجمع القرآن الكريم والمراحل التي مر بها المتقدم في أول البحث " أن زيد بن ثابت رضي الله عنه تتبع القرآن فجمعه من العسب واللخاف والرقاع". وقال الإمام السيوطي رحمه الله في الإتيان : "وقد تقدم في حـ أنه جمع القرآن من الع واللخاف، وفي رواية: والرقاع، وفي أخرى: وقطع الأديم، وفي أخرى: والأكتاف، وفي أخرى: والأضلاع، وفي أخرى: . والعسب جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. واللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء جمع لخفة بفتح ال وسكون الخاء، وهي الحجارة الرقاق، وقال الخطابي: . والرقاع جمع رقعة وقد تكون من . والأكتاف جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه. والأقتاب جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه" () . وفي موطأ () عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم () : "جمع أبو بكر القرآن في قرطيس، وكان يسأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر

الإتيان في علوم القرآن

- ابن وهب وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم الفهري المصري، أخذ عن أربعمائة شيخ منهم: والسفيانان وابن جريج، وكان مجتهداً لم يقلد أحد
- والتفقه، ومن الليث، وكان كثير لرواية للحديث، وقد ذكر الذهبي وغيره أنه وجد في تصانيفه ماء وعشرون ألفاً كلها من رواياته ومع هذا لم يوجد في أحاديثه منكر فضلاً عن ساقط أو موضوع
- : جامع ابن وهب كتاب المناسك كتاب الموطأ توفي سنـ . ترتيب المدارك

طبقات القراء سير أعلام النبلاء

- الإمام الزاهد الحافظ مفتي المدينة أبو عمر القرشي العدوي المدني، قال محمد سالم بن : كان سالم ثقة كثير الحديث عالي ورددت عنه الرواية في حروف توفي سنـ . طبقات ابن سعد . غاية النهاية وفيات الأعيان

" () . () : "لما أصيب المسلمون باليأس فزع أبو بكر
خاف أن يذهب من القرآن طائفة فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع كل عهد أبي بكر في
الورق فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في المصحف" () .
() : "فأمرني
بكر فكتبته في قطع الأديم والعسب فلما توفي أبو بكر وكان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة فكانت
: إنما كان في الأديم والعسب أولاً قبل أن يجمع في عهد أبي بكر ثم جمع في
الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة" () .

: العناصر التي ذكرت في هذه الروايات التي ذكرها الإمام السيوطي رحمه الله في كتاب
الإتقان وبالصفة التي ذكرت بها لا يمكن أن تكون مورد لكتابة القرآن الكريم عليها في حياة
صلى الله عليه وسلم دائماً بل على القلة من ذلك بل إن القرآن الكريم الذي اختتم في العريتين
الأخيرتين من حياة صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وتم كل هذا بواسطة أشهر كتاب
الوحي من الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم زيد بن ثابت وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، كتب في الرقاع التي قد تكون من جلد أو

-
- الإتقان في علوم القرآن
 - موسى بن عقبة بن أبي عياش الإمام الثقة الكبير أبو محمد القرشي مولاهم الأسدي، أدرك ابن عمر وجابراً، قال
محمد بن سعد: توفي سنة . الوافي بالوفيات ثقات ابن حبان
 - سير أعلام النبلاء
 - الإتقان في علوم القرآن ، فتح الباري
 - ابن حجر أحمد بن علي بن محمد الإمام الحبر البحر شيخ الإسلام ناصر السنة العلامة قاضي الفضاة شهاب الدين
ضل الكتاني العسقلاني المصري، صاحب المؤلفات الكثيرة الحافلة أجلها: فتح الباري بشرح البخاري
الإصابة في معرفة الصحابة توفي . الضوء اللامع شذرات الذهب
 - البدر الطالع
 - عمارة بن غزية بن الحارث بن عمرو بن غزية الأنصاري الخزرجي البخاري المدني أحد الثقات، قال محمد بن سعد
ثقة كثير الحديث توفي سنة سير أعلام النبلاء محمد
 - عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي الجرح والتعديل، مطبعة مجلس إدارة المعارف
العثما الهند،
 - الإتقان في علوم القرآن فتح الباري

صلى الله عليه وسلم من أول آية إلى آخر آية، وعلى حسب ترتيب التلاوة لا على

وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه هو الذي يكتب القرآن كل سنة ويعرضه في رمضان على النبي صلى الله عليه وسلم بعد عرض الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن على جبريل عليه السلام، ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري وبلسان أبي بكر رضي الله عنه فيما قال لزيد بن ثابت رضي الله عنه " صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه" () .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في سننه

رضي الله عنه قال: " صلى الله عليه وسلم () ."

والناظر إلى هذا الحديث وإلى اقتصار زيد بن ثابت رضي الله عنه على الرقاع يعلم أن: وجمع القرآن كان في الأوراق المتاحة والموجودة يؤمئذ وعلى الأغلب كانت من الرق قال سبحانه وتعالى ﴿وَأَطْوِرَ ۝١ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ۝٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ () .

: مفتوح غير مطوي.

: للمح إلى سلامته من العيوب، شأن ما يعرض له

وقصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقوله فيها لأخته فاطمة بنت الخطاب () :
() رضي الله عنه

باب جمع القرآن

والترمذي في سننه،

الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند

فاطمة بن الخطاب بن نفيل القرشية العدوية، أخت عمر، أسلمت قديما

الإصابة

تجريد أسماء الصحابة

عمر أخيها رضي الله عنه. الاستيعاب

نزل الكوفة ومات بها سنة هـ بعد أن شهد مع علي

أسد الغابة

والنهران وصلى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الاستيعاب

سير أعلام النبلاء

لم تكن هذه الصحيفة إلا واحدة من صحف كثيرة كانت بين أيدي المسلمين سجل

البخاري في صحيحه () بن عمر رضي الله تعالى عنها: "
صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو" () . وفي صحيح مسلم
"مخافة أن يناله العدو" ()

وشيء آخر في صحيح مسلم في باب: صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الشام
يدعوه إلى الإسلام فقد جاء في آخر هذا الحديث "
فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم... " () إلى آخر هذا الحديث المشهور.
أعلى:

!!
صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم
: "تتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده" () .

والقرآن غير جائز مسه، والقول بأن الم
لأن الوصف بالتنزيل ظاهر في المصحف، وأيضا الملائكة كلهم مطهرون بالإجماع فيلزم على هذا من
الملائكة المطهرون، واستثناء الشيء من نفسه باطل. ا فعود القرآن إلى اللوح المحفوظ غير منزل ولا

-
- عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم،
لم يشهد بدرا وأول مشاهدته الخندق وكان رضي الله عنه من أهل الورع والعلم وكان كثير ا
صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه توفي . الاستيعاب
غاية النهاية تجريد أسماء الصحابة
 - باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو
 - باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم
 - باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام
 - باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه

أ أن الكتاب جاء بمعنى القرآن الذي هو المصحف ما رواه الإمام مسلم في

صحيحه: " : كتاب الله وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل

" لها ثلاث () .

هذا ما يسر الله لي كتابته فيما يخص المصحف وتاريخه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله

أجمعين.

خاتمة الدراسة ونتائجها:

في نهاية هذه الدراسة لا أملك إلا أن أقف مبهوراً أمام عظمة هذا القرآن، وهذا التفرد المثري

لحقيقة الجمع القرآني وكتابته، وإذا لم يكن بد من الوقوف هنا أمام بعض النتائج المستفادة من الدراسة،

فإني أدرج النقاط التالية لتكون نتائج البحث:

أولاً: القرآن بقراءاته العشر المتواترة وحي نطق بها حبيبتنا صلى الله عليه وسلم مما علمه إياه ربه

سبحانه وتعالى عن طريق جبريل عليه السلام.

ثانياً: تلقى الصحابة القرآن بجميع قراءاته عن النبي عليه السلام علماً وعملاً وأوصلوه إلى من

بعدهم من التابعين وتابعيهم حتى وصل إلينا محفوظاً من زيادة أو نقصان.

ثالثاً: انقضى العهد النبوي والقرآن مكتوب كله من لدن كتاب الوحي، وبأمر من الرسول صلى الله

م، غير أنه لم يكن مجموعاً في مكان واحد.

رابعاً: وفق الله سبحانه وتعالى الصحابة بجمع القرآن حفاظاً له بعد وفاة الرسول صلى الله عليه

وسلم، فكان أولاً بأمر من الخليفة الصديق رضي الله عنه بعد مشورة الفاروق له يوم أن استحر

القتل بقراء القرآن في اليمامة.

خامساً: ن قراءات الصحابة التي تلقوها عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تضم الأحرف السبعة

التي نزل بها القرآن.

باب من فضائل علي بن أبي طالب

والدارمي في السنن

باب في مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

وأحمد بن حنبل في المسند

والترمذي

سادساً: بعد اتساع الرقعة الإسلامية اشتدت مظاهر الاختلاف في النطق بالقرآن وقراءته، وبلغ الأمر أشده في خلافة عثمان رضي الله عنه مما أثار حفيظة كبار الصحابة وصولاً بالأمر إلى أن أمر الخليفة عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف واحد.

سابعاً: بعد أن أتم عثمان رضي الله عنه جمع القرآن في مصحف واحد أمر بحرق كل ما عداه مما يخالفها،

ثامناً: تلقى الناس المصاحف في كل قطر من الأقطار التي وجهت إليها، بعد أن أرسل عثمان رضي الله

تاسعاً: بهم ويؤخذ عنهم.

عاشراً: عنايةهم إلى ضبط رسم المصاحف وإقامتها على نحو ما جاء في مصحف

حادي عشر: سارع العلماء في عصر التدوين إلى تسجيل الروايات القرآنية المتواترة في كتب، وظلت المصاحف إلى جانب روايات الأئمة مصدراً للرسم العثماني.

ثاني عشر: انعقد الإجماع بعد نسخ المصاحف العثمانية وبتها في الأمصار على ترك ما يخالف المصحف بأي وجه كان.

ثالث عشر: إن كتابة المصحف لم يكن عملاً فردياً اشتغل به شخص من الصحابة، بل هو إجماع من

رابع عشر: خشي أمراء المسلمين وولاتهم أن يتطرق التحريف إلى النص القرآني إذا ظلت المصاحف غير مشكولة ولا منقوطة، فأحدثوا من الوسائل ما يكفل صيانة القرآن من أي خلل، فخرج إلى

خامس عشر: مع نهاية القرن الثالث الهجري بلغ الرسم القرآني ذروته من الجودة والحسن، وأصبح التنافس على أشده في اختيار الخطوط الجميلة للمصاحف.

سادس عشر: يجب على كل من أراد كتابة مصحف أن يكتبه على مقتضى الرسم العثماني فإن كتبه على مقتضى الرسم القياسي فقد خالف الأحاديث الواردة في طلب الاقتداء بالصحابة.

سابع عشر: هناك العديد من القراءات القرآنية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالرسم العثماني ونقلت إلينا

ثامن عشر: إن الرسم العثماني صار أحد الشروط التي يجب تحققها في كل قراءة لتعد صحيحة تجوز القراءة بها.

تاسع عشر: من خلال التتبع والاستقراء لم يثبت أن قراءة من القراءات المتواترة قد خالفت الرسم القرآني، فالقراءات العشر متواترة صحيحة كلها.

عشرون: إن الرسم العثماني أشبه بالرسم العام الذي يجمع الأمة على كتابة كتاب ربه في سائر الأمصار. واحد وعشرون: إن الرسم العثماني أثر كريم من أيد كريمة، يتحسس قارئ القرآن من خلاله طيب أنفاس الصحابة وهم يخطون الكتاب الكريم في المصاحف لأول مرة.

Some Important aspects of writing down the Scripture in the early period

In this paper, the writer traces the various important stages in the recording of the revelation since the Prophet's time, (pbuh). Proceeding from the earliest stage of the piecemeal revelation and preserving the revealed verses under the Prophet's guidance and instruction, he highlights the subsequent steps taken by the second and the fourth Caliphs. As the writer has demonstrated, this process of writing down was completed through a highly credible collective effort of the community of the Companions. He underlines the extreme care and caution exercised by the scribes of the Qur' n, who were selected by the Prophet (pbuh), himself, so as to supplement its preservation in the memories of the believers. In this respect, he highlights the significance of the standard master copy prepared under the aegis of the third Caliph. In addition to this historical survey, the writer explains the fundamental rules laid down by the scholars of Islam for correct recitation of the Qur' n including its authentic varied forms, showing that the authentic modes and standards maintained in the writing of the Scripture inter-alia contributed to observe the rules of its correct recitation. He concludes that the writing of the text of Qur' n from the earliest stages of the revelation fulfilled the highest criteria of authenticity since the Muslim scholars of all times exhausted their utmost potential in preserving the Book of Allah.